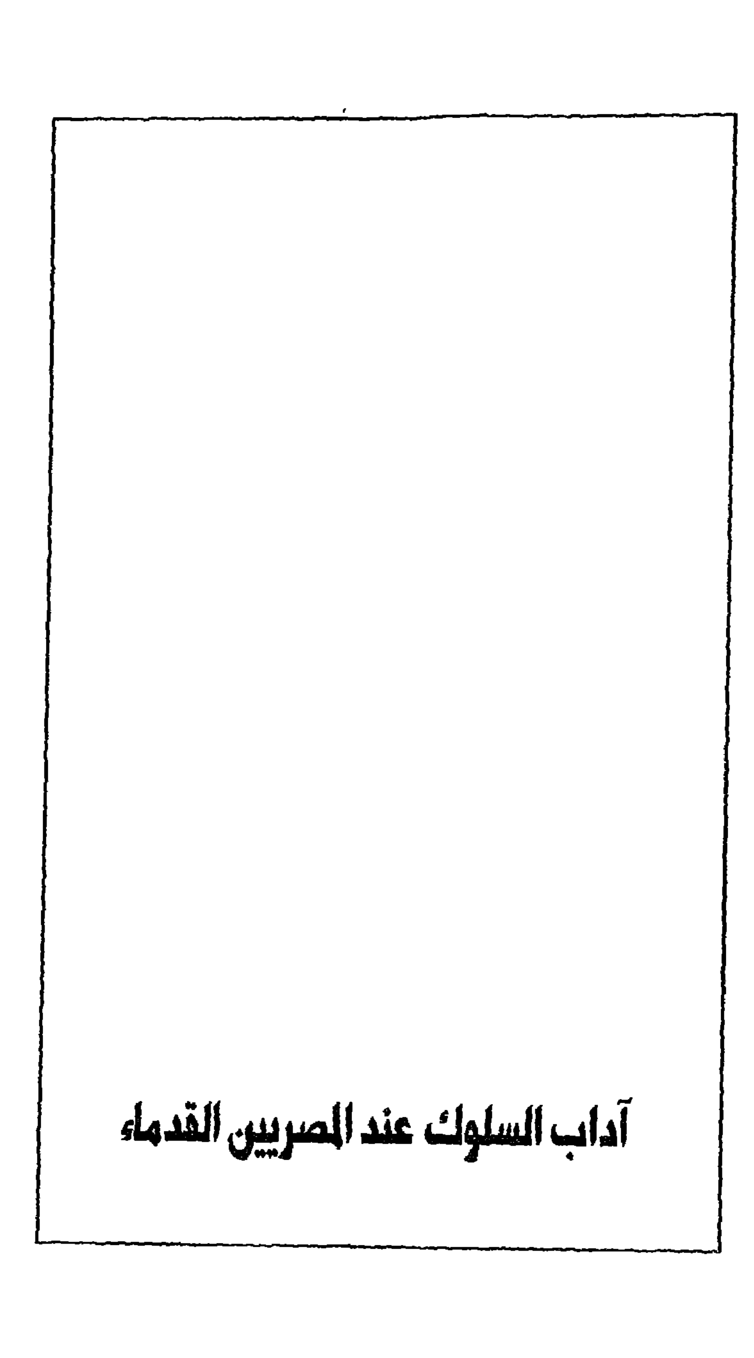
آداب السلوك عند المصريين القدماء

محمد عبد الحميد بسيونى



آداب السلوك عند المصريين القدماء



مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

آداب السلوك عند المصريين القدماء

محمد عبدالحميد بسيونى

الغلاف
الإشراف الفنى
للفنان : محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاثة الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وان مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة في عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

● منذ تســلط اوزوريس على ارض مصر .. رفع عنها الفاقة والحياة الهمجية .. بارشاده اياها الى روح الاجتماع وسر الحياة .. فهذب العالم كله .. وأدخل اليه المدنية والتقدم بغير استعمال السلاح .. بل باستعمال اشرف فنــونه .. واحــلاها .. وهى .. الأدب .. الموسيقى .. الشعر ●

كاتب فرعونى

مقـــدمة

هذا الكتاب ٠٠ يضرب على وتر السلوك والأخلاق عنـد قدمـاء المصريين من خلال نصوصهم وتعاليمهم ٠٠ ونصائحهم ٠٠ فكيف استطاع مصريو السبعة آلاف سنة أن يرســموا نهجا سلوكيا طيبا نابعا عن أصالة أخلاقيـة ضاربة في عروق هذا الشعب ٠٠ هـذا من جهة ٠٠ من جهة أخرى كانت لتجارب المصرى الكثيرة واحتكاكه المباشر بالمشاكل الأثر الكبير فى رسم سلوك طيب لمن بعده ٠٠ ولكن ٠٠ لا يزال المعروف حتى الآن عن سلوك وأذواق وآداب المصريين ٠٠ اقل ممـا كان ينتظر من أهله ذوى الكفايات الواسـعة ٠. فى عالمى الذوق والأخلاق والفـكر الأدبى ٠٠ ذلـك يدفع الى الاعتقاد بأن أرض مصر لا تزال تحتفظ بكنوز أخرى ٠٠ قد تكشف عنها الأيام ٠

٠٠ الغريب أن أى تفســير أو ترجمة لسلوكيات

وأذواق وأدب المصرى القديم ٠٠ لن تبلغ من نفس القارىء المعاصر ٠٠ بنفس ما كانت تؤثر به فى نفوس أصحابها القدامى حين دونوها بلغتهم وتذوقوها بروحهم ٠٠

٠٠ قد يجمع هذا السلوك وتلك الأذواق فى طياتها الكثير من التعاليم والحكم والمعالم ٠٠ التى توضح لنا بداية طريق مفروش بالذوق الناصع والأدب الممزوج بالسماحة ٠٠ وتحفة نصائح تحكم المصرى القديم وتوجهه الى طريق الصواب ٠

وهذا ما أردته ٠٠ والله الموفق ؟

محمد عبد الحميد بسيونى

سجلت الآداب المصرية على صفحات البردى واللخاف بخطوطها التى عرفناها ·· الهيروغليفى الهيراطيقى ·· منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد ·· والديموطيقى منذ القرن السابع قبل الميلاد ·· ثم القبطى منذ القرن الثانى للمسيح ·· وظلت لغتها على مدى آلاف طويلة من السنين واحدة متصلة فى أساسها ·· ولكن مع تمايز خفيف وتطور يسير فى نحوها وأساليبها وهجاء كلمتها بين كل عصر وآخر من عصور تاريخها الطويل .

فبدأت آداب الدولة القديمة فى بداوة وجفاف حينا ·· وفى جزالة وعنجهية حينا آخر نتيجة لارتباط بعضها بتعبيرات ونصوص ورثتها عن عصور ما قبل التاريخ ·· وارتباط بعضها الآخر بتواليف الكهنة البعيدة بعض الشيء عن حياة الناس الفعلية وخلجات نفوسهم ·· واستقرت تقاليد الآداب فى الدولة الوسطى وتميزت بالنقاء والصقل والوضوح ·· ثم تضمنت الآداب فى عهد العمارنة مختارات من لغة الحديث الدارجة واعترفت بها ·· وأدت هـذه

الخطوة الى افساح مجالات التعبير أمام آداب عصور الرعامسة لاسيما مع انتشـار التعليم فيها ·· وكثرة ما تقبلته من ألفاظ شرقية دخيلة وأخيرا حاولت العصـور المتأخرة ·· احيـاء أسـاليب الدولتين القديمة والوسـطى فى بعض نصوصها ·· عسى أن تنعكس عليها أمجاد أهلها ·

أما عن الحـدود الزمنيـة لفروع الأدب المصرى ·· فليس من اليسير القطع بها لا سيما فى أول أطوارها ·· فلا شك فى أن أهل ما قبل التاريخ ·· الذين لم يحرفـوا الكلمة المكتوبة ·· ولم يتركوا لنا أدبا مدونا ·· كانوا يستمتعون على الرغم من ذلك بالقصة الشفهية ·· والأغنية الشعبية ·· والبطولات المروية ·

وفى هـذا الكتـاب أتناول فيه جانبـا من جوانب السلوك عند قدماء المصريين فهناك النصيحة التى يوجههـا ·· آباء مثقفون ·· ومعلمون من الكهان والمتدينين ·· ثم أدباء انتحلوا لأنفسهم سمات الآباء تارة ·· وسـمات المعلمين تارة أخرى ·· وتفاوتت المسـتويات الاجتماعية لهؤلاء ·· فكان منهم أمراء ووزراء ·· جنبا الى جنب مع أفراد من أواسط الكتاب والكهان ·· ذلك مما يعنى أن الحـكمة لم تكن وقفـا على طبقة معينة من النـاس دون الأخرى ·· وقد تلاقت سبلهم فى ثلاث نواح ·· وهى ·· أن أغلبهم نسب نصائحه الى خبرته الشـخصية وتجارب أسلافه أكثر مما نسبها الى وحى السماء وأوامر الأرباب ··

وأن كلا منهم حاول أن يتجاوب بتعاليمه مع الأوضاع التى ارتضاها الفراعنة ٠

٠٠ فهناك بتاح حتب ٠٠ الذى كان وزيرا من القرن الخامس والعشرين ق.م ومن أقدم أصحاب التعاليم ٠٠ وفى سياق حديثه صور لولده سبيل الاستقرار فى الأسرة قائلا له ٠٠ « اذا أصبحت كفئا كون أسرتك ٠٠ وأحبب زوجتك ٠٠ حدود العرف ٠ أو عاملها بما تستحق ٠٠ أشبع جوفها ٠٠ واستر ظهرها ٠٠ وعطر بشرتها بالدهن العطر فالدهن ترياق لبدنها ٠ وأسعدها ما حييت ٠٠ فالمرأة حقل نافع لولى أمرها ٠٠ ولا تتهمها عن سوء ظن ٠٠ وامتدحها تخبت شرها ٠٠ فان نفرت راقبها واستمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك ٠٠ وسوف يكيدها أن تعاشرها ضرة فى دارها » ٠

٠٠ وفى مقابل قيامه بهذه المسئوليات الأسرية ٠٠ دعاه الى سبل التنعم مع البساطة والتوسط قائلا له ٠٠ « ساير نفسك ما حييت ٠٠ ولكن لا تتجاوز العرف ٠٠ واياك أن تبتر ساعة المتعة ٠٠ فالنفس تأبى أن يفسد وقت متعتها ٠٠ ولا تستنفد من شئون اليوم أكثر مما يعول دارك ٠٠ وعندما يواتيك الثراء ينبغى أن يستمتع القلب ٠٠ فلن يجدى الثراء اذا أهمل القلب ٠. وكن سمح الوجه مادمت حيا ٠٠ فان ما يخرج من الشونة لن

يعود فيدخلها ٠٠ « ومن أطاع هواه انتهى الى الثمن دون سواه » ٠

٠٠ وقد شارك بتاح حوتب بعض شهرته في الدولة القديمة وزير آخر ربما كان يدعى كا ارسو ٠٠ كتب تعاليمه لأولاده ٠٠ ولولده الأكبر « كايجمنى » على وجه الخصوص ٠٠ وكان من طريف قوله وهو يدعوه الى أن يؤثر العمل على الكلام ٠٠ « دع سمعتك تزكو وفمك صامت ٠٠ تدع الى أعلى المناصب ٠٠ وقوله وهو يدعوه الى القناعة والتحكم فى النفس » ٠٠ اذا جالست قوما ٠٠ فتعفف عن الطعام ولو كنت تشتهيه ٠٠ فانها برهة قصيرة تقهر الرغبة فيها ٠ ٠وقد خسأ من شره جوفه ٠٠ واذا جالست نهما فكل عندما تنتهى شهيته ٠٠ واذا شربت مع سكير فشاركه حين يبلغ كفايته ٠٠ فالمرء اذا برىء من ملامة الطعام لن تسوءه كلمة » ٠

٠٠ وقال : ان قدحا من الماء يروى علة الظامىء ٠٠ وملء الفم من حشائش الأرض يقيم أود القلب ٠٠ ورب حسنة تقوم مقام الخير كله ٠٠ ونزر يسير يغنى عن الكثير كله ٠

بعد ذلك أراد الحكيم الأديب « آنى » من أهل القرن السادس عشر ق٠م أن يرشد ولده الى مقومات السعادة فى الأسرة ٠٠ فقال له : « تخير زوجتك حين الصبا وأرشدها كيف تصبح انسانة وعساها تنجب لك طفلا ٠٠

فانها اذا أنجبته لك وأنت شاب استطعت أن تربيه وتجعله رجلا ‥ وطوبى للرجل ‥ اذا أصبح كثير الأهل ‥ وأصبح يرتجي من أجل أبنائه » ٠

ثم قال له : « لا تقس على زوجتك في دارها ان أدركت صلاحها ‥ ولا تسالها عن شيء أين موضعه ‥ اذا تخيرت له وضعه الملائم ‥ افتح عينيك وأنت صامت تدرك فضائلها ‥ وان شئت أن تسعد ‥ فاجعل يدك معها وعاونها ‥ يجهل كثير من الناس كيف يمنع الانسان أسباب الشقاق في داره وقد لا يجد أحدهم مبررا للنزاع فيعمل على خلقه ‥ بينما يستطيع كل انسان أن يوفر الاستقرار في داره اذا تحكم سريعا في نزعات نفسه ‥ ولكن احذر أن تمشي في طاعة أنثى ‥ أو تسمح لها بأن تسيطر على رأيك » ٠

‥ وقال وهو يوصي ولده بصراحة الحديث ‥ « اياك ألا تقاوم الالتواء في داخلية نفسك ‥ ثم دعاه الى التبصر حين الخطاب ‥ وحين الجواب قائلا : ان جوف الانسان أوسع من شونتي الغلال الملكيتين يتسع لكل جواب ‥ فتخير خير الحديث وتكلم صوابا ‥ واحتفظ بسيئه في جوفك » ٠

وكان من طريف تأديبه له بآداب الدعاء ‥ قوله ‥ ادع بقلب محب ‥ ولا تجهر بصوتك يستجب الاله لدعائك ويسمع ما تقول ويتقبل قربانك » ٠

يأتي بعد ذلك الشيخ أمنموبى ·· الموظف الأديب المتدين ·· في فترة ما من القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد ·· وقد تحدث في مقدمة تعاليمه عن أغراضه منها ·· أن تكون هاديا لقارئها الى السعادة ومرشدا الى قواعد مخالطة الخلصاء والكبراء وتقاليد أهل البلاط ·· ومعرفة الرد شفاهة وكتابة مع كل من يحادثه ويراسله فضلا عن راحة ضميره وحسن سمعته بين الأقارب والأغراب ·

ولما كان الشيخ أمنموبى قد عاش في عصر · شاهد الحكم الثيوقراطي ·· واشتدت فيه نزعة التدين ·· وكان قد هيأ ولده لمنصب ذى صلة بمعبد ·· لذا اصطبغت تعاليمه بروح التقوى والورع والدعوة الى خشية الاله والثقة بعلمه وعدله والايمان بقضائه وقدره ·· وقال لولده ·· « كن رصينا في تفكيرك وثبت فؤادك ولا تتعود على أن تجدف بلسانك ·· ولا تفصلن فؤادك عن لسانك تصبح مشروعاتك كلها ناجحة ·· وثمة شيء آخر محبب الى الرب وهو التروى قبل الكلام ·· »

·· وكان من قول الشيخ أمنموبى ·· أنه ·· شتان بين الكلام الذى يقوله الناس وبين ما يفعله الاله ··

وعمل الأديب أمنموبى على أن يصرف ابنه عن التبرم بالحياة ·· وتخوف المستقبل ·· قائلا له : لا تقل ·· ان اليوم أشبه بغد ·· فالام ينتهى هذا ؟ ·· كلا ·· فالغد

آت ٠٠ واليوم منقض ٠٠ وقد تصبح اللجة الفائرة حافة للأمواج » ٠

ولا تقض الليل متخوفا من الغد ٠٠ قائلا عندما يطلع النهار ٠٠ كيف يكون الغد ؟ ٠٠ فما يعلم انسان ما سيكون عليه الغد ٠٠ والاله دائما فى فلاح (تدبيره) والانسان دائما في خيبة ظنونه » ٠

٠٠ ولا تتبرم بالفقر ٠. فان رامى السهام اذا اندفع الى الأمام هجرته جنوده حين الخطر ٠

ودعا المتدين أمنموبى ابنه الى احترام كبـار السن وعلل ذلك بتعليل لطيف قال فيه : « لا تسب من يكبرك سنا ٠٠ فانه قد شاهد نور الاله ٠٠ دعه يضربك ان شاء ويدك فى خاصرتك ٠٠ ودعه يسـبك ان شـاء وأنت صامت ٠٠ »

٠. كن ثابتا أمام غيرك من الناس ٠٠ فالانسان فى مأمن فى يد الرب ٠٠ والرب يمقت من يزور فى الكلام ٠٠ وكبر مقتا عنده النفاق ٠٠ ولا تخصص عنايتك لمن اكتسى بثوب قشيب ٠٠ وتقبله فى الأسمال ٠٠ ولا تتقبل رشوة من صاحب نفوذ أو تظلم مقصور اليد من أجله ٠٠ فالعدل هبة غالية من الرب يهبها لمن يشـاء ٠. فالرب يحب اسعاد الفقير أكثر مما يحب تعظيم النبيل ٠ »

.. وعلى نحو ما وضحت المشـــابهة والتأثير بين أناشيد اخناتون وبين مزامير العبرانيين وضح تأثير مشابه من تعاليم الشيخ امنموبى على تعاليم اليهود فى ســـفر الأمثال فى اللفظ والمعنى .. بل وفى تقســـيم الفقرات أيضا .

.. لقد شـــارك المعلمون والأدبـــاء المعترفون الآباء المثقفين أيضا فى تعاليـــم الحكمة والتهذيب وكان أكثرهم حديثا معلمو وأدباء عصر الرعامسة .. وقد أراد أحدهم أن يزكى النخوة والنجدة فى نفس تلميـــذه وقارئه .. فقال له :

« اذا رجاك يتيم مسكين اضطهده آخر وود هلاكه .. فسارع اليه وقدم المعونة اليه .. اجعل نفســـك منقذا له .. فمن أعانه ربه حق عليه أن يعين كثيرين غيره .. »

.. وقال أيضا : « حرر غيرك اذا وجدته رهن القيد .. وكن حاميا للضعيف .. فلقد قيل ان الحسنى لمن لا يدعى الجهل بآلام غيره .. »

.. وقال أيضا : أيا ما كانت خبرتك بالكتب .. وكنت متعمقا فى التعاليم .. فعليك أن تحترم الغير حتى تحترم .. وأحب الناس يحبك الناس .. ولا تبالغ فى أحاديثك .. »

يجىء بعد ذلك آخر أصحاب التعاليم .. الكاهن .

الحكيم فى عين شمس عنخ شاشنقى ٠٠ عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ٠٠ وذاق مر الحياة أكثر مما تذوق حلوها ٠٠ ولكنــه ظل مؤمنــا ٠٠ صــابرا ٠٠ واختلط بأوساط مختلفة من عامة النــاس وخاصتهم ٠٠ تضمنت تعاليمه كثيرا من الأمثال والتعبيرات الثائرة ٠٠ وشاء سوء حظه أن يتهم بالتستر على مؤامرة ضد الفرعون ٠٠ كان براء منها ٠٠ ولكنه سجن ٠٠ ولما أحس دنو أجله كتب تعاليمه في السجن وأرسلها الى ولده وضمنها مقدمة عن بلواه ٠

٠٠ ومن طريف تعبيراته ٠٠ ما يقول فيه : « لاتلف كثيرا حتى لا تتوقف » ٠ ولا تتخم نفسك صغيرا ٠٠ حتى لا تتراخى كبيرا ٠٠ ولا توقد نارا لا تستطيع اخمادها ٠٠ ومن حزن مع أهل بلده فرح معهم ٠٠ ولا تجعل لنفسك صوتين ٠٠ وقل الأمر الواقع لكل انسان ٠٠ واسمح لمن عمل ما كلف به بأن يرفع صوته ٠٠ واعط الشغال رغيفا تأخذ رغيفين من كتفيه ٠٠ ولا تكره انسانا لمجرد رؤيته مادمت لا تعرف حقيقة خلقه ٠٠ ولا تكره من يقول لك أنا أخوك ٠٠ واعلم أن العزلة خير من أخ شرير ٠

٠٠ ومن حكيم أســـاليبه وتعبيراته في الزيجات : نعمة الممتلكات زوجة حكيمة ٠٠ لا تهجر امرأة في دارك لأنها عقيم ٠٠ لا تقتل حية وتترك ذيلها ٠ انما تنكح الزوجة برغبــة زوجهــا ٠٠ من نكح زوجة على سرير ٠٠ نكحت

زوجته على الطين ٠٠ من نكح امرأة جاره نكحت زوجته على عتبة داره ٠٠ تخير زوجا عاقلا لابنتك ٠٠ ولا تتخير لها زوجا ثريا ٠

٠٠ العجيب أن لهذا الحكيم آراءه الخاصة ٠٠ فيقول : زوج ابنتك لصائغ ٠٠ ولكن لا تزوج ابنك لابنته ٠

وفى أدب الحديث يقول : ٠٠ قد يستر الصمت حمقا ٠٠ وقد يفضل البكم زلق اللسان ٠٠ وآية الحكيم فمه ٠٠ وانما يتأتى التعليم بعد رقى الخلق ٠٠ ولا تقل انى عالم وتفرغ للعلم ٠٠ رفيق الغبى غبى ٠٠ ورفيق الحصيف حصيف ٠٠ ورفيق الأبله أبله ٠

وأخيرا ٠٠ يقول عنخ شاشنقى فى النجدة ٠٠ لا تكن ساقط الهمة حين الشدة ٠٠ وافعل الخير وارمه وسط البحر ٠٠ واذا فعلت معروفا لخمسمائة انسان وراعاه واحد فحسبك أن جزءا منه لم يضع ٠٠

ويقول : لا تشاور عالما فى أمر تافه ٠٠ ولا تشاور جاهلا فى أمر جلل ٠٠ ومن وعى ما تعلمه تفكر فى زلاته ٠٠ فشل كريم خير من نصف نجاح ٠٠ الموت خير من الحاجة ٠٠ من هز حجرا وقع على رجله ٠٠ من سرق متاع آخر لن يبارك له فيه ٠٠ يسرق السارق بالليل ويقبض عليه بالنهار ٠

ايبو العجوز

عرفنا من مصر القديمة أيضا نوعا جديدا في أدب النقد ·· وأسلوب التوجعات ·· فالمعروف أن الدورة التاريخية الأولى لمصر قد انتهت في أواخر القرن ٢٣ ق·م بثورة طبقية صور أخبارها من وجهة نظره حكيم يدعى « ايبوور » أو ايبو العجوز ·· وقد حفظ المصريون آراءه ·· ووصفه لأحداث عصره وحكايته مع فرعونه وبلاطه ·· ورددوا قصته أجيالا طويلة ·· ثم سجلوها على صفحات البردى ·· وبقيت من صورها بردية كتبها أديب من الدولة الحديثة ·· وتعرف الآن اصطلاحا باسم بردية ليدن ٣٤٤ بعد ان انتقلت الى متحف ليدن .

·· وضاعت للأسف بداية البردية ونهايتها ·· ولكن يفهم مما بقي منها أن صاحبها قسمها الى فقرات ·· وحاول أن يبدأ كل مجموعة من فقراتها ببدايات متشابهة ·· فبدأ فقراتها الأولى بأسلوب الحكاية ·· وردد في بداية كل واحدة منها عبارة اصطلاحية تعني ما تعنيه عبارة ·· « حقا لقد حدث كذا وكذا » ·· ثم أخذ يخاطب جمعا من الناس قد يكونون أهل البلاط في العاصمة بفقرات متصلة ·· بدأ كل واحدة منها بقوله : تأملوا كذا وكذا ·· وبعد أن أشبعهم من الاستثارة ·· عاد الى الحكاية مرة أخرى في مجموعة فقرات بدأ كل واحدة منها بقوله ·· خرب أعداء العاصمة الكريمة كذا وكذا ··

وعلى العموم .. كان ايبوور مصلحا ما فى ذلك من شك .. وكان يدرك مفاســد الحكم فى عصره ما فى ذلك من شك .. أيضا .. هذا راجع لكونه من طبقة ارستقراطية قديمة وكان يتمنى أن يتأتى اصلاحها من داخلها أو بوحى فرعون حازم مصــــلح .. ولهــذا اختلط الاخــلاص فى روايته بالمبالغة .. واختلط التحسر بالأمل .

.. ومع كل فقد نجح ايبوور فى تصوير حيرة الناس فى عصره .. بأنهم كانوا رجالا ثلاثة : رجلا يعلم ما حدث ويوافق عليــه .. ورجلا يجهل تماما .. وثالثا : علــم بما حدث ولكنه لا يدرى ان كان خيرا أم شرا .. وعلى أثر ذلك كره بعض النــاس دنياهم وآثروا الانتحار ســـواء لضياع حقوقهم القديمة .. أو لأسفهم عما أصاب المعابد والمقابر .. أو لأســفهم عما أصاب بلدهم من اضـــطراب لم يعرفوا علاجه .

وعبر ايبوور عن رأيهم بقوله : ولى وانقضى ماشهده الأمس .. وبقيت الأرض لســوء حظها .. ألا ليت ذلك يكون نهايــة النـــاس .. فلا يحدث حمل ولا ولادة .. وتهدأ الأرض من الضجيج .. ولا يكون هناك متخاصمون .. وقد أصبح الكبير والصغير يتمنيان الفناء .. وأصبح الأطفال يقولون ليت آباءنا لم يهبونا الحياة .. وغصت التماسيح بما أصبحت تقتنصه بعد أن ذهب الناس اليها من تلقاء أنفسهم .

وعلى الرغم مما صوره ايبوور ٠٠ فان الثورة حركت ضمائر الحكام الى الاصلاح ودعت الى التفكير فيما ينبغي أن يكون عليه سلوك الحكام ٠٠ وشجعت على مواجهة الملك بعيوبه ٠٠ وأدت الى نشأة طبقات جديدة تعتز بالعصامية أكثر مما تعتز بالأحساب والأنساب ٠

ومن ثورة ايبوور ٠٠ الى القـــروى الفصيح ٠٠ الى توجعات « نفررجو » الى تأملات خع خبررع ســـنب ٠٠ الكاهن الأديب ٠٠ فهو من عين شمس ٠٠ اشتهر باسـم عنخو ناجى قلبه ٠٠ وكان صريحا فى نقد أوضاع البلاد ٠٠ ولكنه ترك توجعاته دون أن يتنبأ بحل لها ٠٠ بدأها بمقدمة توحى بحرصه على التجديد ٠٠ ورغبته فى عدم التقليد قال : هلـم فؤادى اذن ٠. أحادثك وتجيبنى على حديثى ٠٠ وتفسر لى كنه ما يجرى فى هذه الدنيا ٠٠ فانى لأتفكر فى أحداث وبلايا جدت اليوم ٠٠ والكل عنها صامت ٠٠ والأرض كلها فى خطب عظيم ٠٠ وما من انسان يبرأ من الخطأ ٠ ٠فالنـاس جميعهم قد ارتكبـوه ٠. وقلوبهم هواء ٠٠ ولكن من يصدر الأمر ٠٠ ومن يصدر له الأمر ٠

٠٠ فما أطول وأثقل همى ٠٠ حيث لا قدرة لمقهور على أن يحمى نفسه ممن هو أقدر منه ٠٠ والواقع انه بينما يعز الصمت عما يسمع ٠. وتصعب الاجابة على جاهل ٠٠ الا أن النقد أصبح يولد العداء ٠٠ وما من قلب يتقبل قولة حق ٠٠ وما عاد انسان يحتمل رد كلامه ٠٠ وانما يلوك

كل فرد حديثه ·· وكل انسان يبنى رأيه على عجل ·· وهجرت الصراحة الأحاديث ·· ولكن ··

هاأنذا قد حكيت لك فؤادى ·· فأجبنى ·· حيث لا صمت لقلب مقدام ·

وقبل أن أختم كلامى عن علاقة الأدب والأسلوب فى مصر القديمة ·· أحب أن أعود الى الحكيم عنخ شاشنقى ·· عندما نعى ضياع الحق فى بلده الى رع فى عبارات تقطر ألما ·· قائلا :

اذا غضب رع على أرض نسى حاكمها العرف
اذا غضب رع على أرض عطل القانون فيها
اذا غضب رع على أرض أبعد الطهر منها
اذا غضب رع على أرض عطل العدل فيها
اذا غضب رع على أرض سقطت الأقدار فيها
اذا غضب رع على أرض ضاعت الثقة فيها
اذا غضب رع على أرض رفعت جهلتها وخفضت عليتها
اذا غضب رع على أرض جعلت أغبياءها فوق علمائها

تلك نماذج بسيطة من سلوك المصرى القديم ·· تشهد على الرغم من قلتها وقدمها البعيد وصعوبة التعبير عن ألفاظها ·· على عقليات ناضجة وأحاسيس نابضة وأذواق مرهفة ·

السلوك ·· وآداب المتون المصرية

صورت المتون المصرية وآدابها جانبا من سـلوك المعاملة بين الأب وأبنائه ·· وبين سـلوك الأم ·· ألقت متون الأهرام الضوء على هذا السلوك فى عبارتين ·. يدعو الأبوان بهما ولدهما الأكبر حين مقدمه عليهما ·· فالأم لا تزيد عن أن تقول له ·· جميل ·· ما أجملك ·· أما الأب فانه يرى فى ابنه ما يرجوه لغده ·· فيناديه ·· وريثى ··

على أن المتون المصرية تكشف عن أن حزم الأب كان يتجه أحيانا الى الحد من الملاينة المتبادلة بين الأم وولدها ·· وتكشف من ناحية أخرى عن أن حنو الأمومة لم يكن يصرف المصرية عن اسهامها بنصيب واضح فى تنشئة ولدها التنشئة الطيبة التى تتيسر لها فى بيئتها ·

● فهذا والد من الدولة القديمة يحض ولده على الجدية والحزم ·· فيذهب بهما الى قوله :

« طوبى له من كان جادا ازاء أمه ·· فهو جدير بأن يصبح جميع الناس له تبعا » كأن الرجل عنى بما يترتب

على اللين من ضعف الشخصية ٠٠ أو أن التفريط فى البيت يعقبه تفريط خارجه ٠

● ومن الدولة الحديثة : يصف أحمس الأول أمه اعح حوتب بأنها العالمة رخت خت وذلك مما يؤكد حصافة توجيهاتها ٠٠ وعظيم أثرها فى حياته وحياة أخيه من قبله ٠. وثمة عبارة فى تعاليم عنخ شاشنقى ٠٠ لو صحت القراءة التالية لها ٠٠ لكانت اعترافا بكرامة الأم أمام أولادها ٠٠ يقول فيها الحكيم المصرى :

« لا تضحك ولدك وتبكيه على أمه ٠٠ تريد أن يعرف أهمية أبيه ٠٠ فما ولد فحل من فحل » ٠٠ أى من غير أم ٠

ومن ثم جاء السلوك التربوى على ألسنة الحكماء ٠. « أولاد الأحمق يزرعون الطريق وأولاد الحكيم يستقرون من ورائه ٠٠ »

— ثم يجىء الحكيم بتاح حوتب ليجمل السلوك التربوى فى قوله لولده :

« اذا نضجت وكونت دارا ٠٠ وأنجبت ولدا من نعمة الرب ٠٠ واستقام هذا الولد ونهج نهجك ٠٠ ووعى تعاليمك ٠٠ وصلحت أحواله فى دارك ٠. وحفظ ثروتك كما ينبغى ٠٠ فالتمس له الخير كله ٠٠ وتحر كل شأن

فاضل من أجله ·· فانه ولدك ·· وفلذة كبدك ·· فلا تصرف عنه نفسك » ·

ثم يقول له : لا تقل (يا) ولد لمن نضج · ولا تتجاهل من جانبك من كبر ·

كذلك نلمح السلوك التربوى فى تعاليم حور ددف لابنه آوت اب رع ·· وتعاليم الفرعون خيتى لابنه مريكا رع ·· وتعاليم خيتى دواوف لابنه بيبى ·· تعاليم الفرعون امنمحات الأول لابنه سنوسرت ·· تعاليم سحتباييب رع لأولاده ·· تعاليم آنى لابنه خنسو حوتب ·

·· لقد تقدم كيف كان المصريون يرون من واجب الأب الحكيم أن يطلب المعرفة بنفسه بغية أن ينفع بها بنيه ·· وكان من الأبناء من يصف أباه بمثل هذه الصفة فيقول :

« لقد علمنى أبى ما يعرفه ·· وهذبنى مالا حصر له من المرات » ··

فن الحديث ·· والسلوك التهذيبى

وعلى هذا أقول ·· قارب المصريون كثيرا بين السلوك التهذيبى وبين الأدب ·· بحيث كان الحكيم لديهم ·· هو من يحسن الارشاد ويجيد فن الأسلوب والكلام فى آن

واحد ·· فتعاليم بتاح حوتب التى عنيت أساسا بالأخلاق وقواعد السلوك واعتبرت حكما واجبة الاتباع ·· « الحسن لمن أصغى اليها ·· والشقاء لمن حاد عنها » عنونت على أساس أنها آيات من جيد الكلم « ستون مدت نفرت » ·· أو الموعظة الحسنة ·· قالها بتاح حوتب فى هداية الجهلة الى المعرفة ·· والى قواعد الحديث الطيب ·

الغريب أنه جاء فى مقدمة هذه التعاليم اذا جاز هذا الاسم ·· انه لما طلب بتاح حوتب من فرعون أن يأذن له بصياغتها لتثقيف ولده ·· قال له الفرعون : « علمه الحديث بادىء ذى بدء ·· لعل الطاعة أن تتلبسه ·· ويقوم عقله كل ما يقال له ·· فما من مولود تفقه ·· » أى فهم كل شىء من تلقاء نفسه ·

وظلت تعاليم بتاح حوتب تدرس خلال الدولة الوسطى حتى عصر الأسرة (١٨) وربما فيما بعد ذلك أيضا ·· على أنها دروس فى الأدب ·· والكلام الجميل ·· ودروس فى الأخلاق والسلوك فى آن واحد ·· ولقد تضمنت بالفعل ما يكفل للدارس التبصر بآداب السلوك ·· والتعرف على قواعد الخلق الطيب ·· كما تضمنت ما يكفل له ثروة طيبة من التعبيرات الراقية ·· يستطيع أن يتمثل بها فيما يكتبه وفيما يتحدث به · ويحتمل أنها كانت مما يحفظه التلاميذ بغية التشبع الأخلاقى والأدبى ·· ويزكى ذلك تعاليم حورددف التى تنتمى الى الدولة

القديمة ·· ظلت مما ينبغى حفظه حفظا مرتبـا حتى عصر الرعامسة ·· مما يدل عليه قول حورى لزميله ·· « لقد ذكرت لى حكمة لحورددف ·· ولكنك لا تدرى طيبة كانت أم رديئة ·· والا فأى فصل يسبقها وما الذى يتلوها ·

ولم يقتصر السلوك الأخلاقي على تعاليم بتاح حوتب وغيره من شيوخ مصر القديمة ·· فالى جانب هؤلاء كانت لتعاليـم آنى وأمنموبى مكانـة خاصـة لاذكاء التهـذيب السلوكي والتثقيف الأدبي معا ·

وثمة تقارب بين النصائح الخلقية والسـلوكية ·· وبين الأدب في موضوعات أخرى قصيرة تضمنتها كراسات تلاميذ عصر الرعامسة ·· « اياك أن تحرك فمك لتقسم ··

·· لا تقترف الذم ·· واحذر الزلل حين الحديث ·· واحرص على أن تظل هادئا كالحارس واذا عبرت فى سفينة ادفع لها أجرها وزيادة وكافىء الصانع يخدمك ··

·· اذا أثريت وواتتك المقدرة ·· وتعهدك ربك ·· فلا تكن جهولا ازاء قوم تعرفهم بل احترم كل انسان ·· حرر غيرك اذا وجدته مقيدا ·· وكن معينا للعاجز فلقد قيل طوبى لمن لا يتصنع الجهل ·

اذا رجاك يتيم مسـكين يضطهده آخر ويبغى هلاكه ·· فسارع اليه وهبه شيئا واعتبر نفسـك منقذا له ·· فمن أعانه ربه وجب عليه أن يحيى كثيرين غيره ·

– الى جانب هـذا اعتبر حكماء مصر الفرعونية ٠٠ الفصاحة وسرعة البديهة ولباقة الأحاديث مواهب يمكن أن يتصف الأمى بها كما يتصف بها المتعلم ٠٠ وذلك على نحو ما أكـد حكيمنـا بتاح حوتب حين قال : « ان الكلمة أو الموعظة الطيبة ٠٠ وان تكن أشـد استخفاء من الزبرجد الا أنها قد توجد مع الاماء العاملات على المراحى ٠٠ وعلى نحو ما تعمدت قصة القروى الفصيح أن ترسل الحكمة والموعظة على لسان رجل من عامة الناس ٠

واذا قمنا بسياحة مرة أخرى داخل صلب تعاليم حكيمنا بتاح حتب ٠٠ نلاحظ أن هناك فقرتين متتاليتين تدعوان الى أمر واحد ٠٠ وهو توقى الجشع ٠٠ وقسـوة القلب ولكن ٠٠ بينما عالجته احداهما فى حزم وتركيز ٠٠ بسطته الأخرى فى تشويق وتفصيل فقالت احداهما : « لا تقس قلبك حين القسمة ٠٠ ولا تبتغ ما لا يخصك ٠٠ ولا توغر قلبك ازاء أقاربك ٠٠ فان التماس الوديع أجدى من تصرف العنيف ٠٠ وانه لتافه ذلك الذى يستأسد بين أهله وهو محروم من حصائد الحكمة ٠٠ والشىء الطفيف الذى يطمع فيه يولد البغضاء حتى فى صاحب الطبيعة الباردة ٠٠ »

وقالت الفقرة الأخـرى : « اذا أحببت أن يجمـل سلوكك ٠٠ وأن تبرىء نفسك من كل سـوء ٠٠ فاتق لحظة جحود القلب ٠٠ فانه داء وبيل مستعص ٠٠ ولن

تنشأ ثقة به ‥ وهو يعكر صفو الصديق الصدوق ‥ ويقصي الثقة عن مولاه ويسيء الآباء والأمهات والأخوال ‥ ويطلق زوجة الرجل ‥ انه مجمع كل الشرور ‥ وعيبة لكل ما يعاب ‥ فأيما رجل استقامت له طريقه وسار وفق سبله القويمة ‥ فهو بذلك يورث ‥ أما قاسي الفؤاد فلا مثوى له ‥ »

فالفقرة الثانية اذن لا تتميز بأسلوب مختلف فحسب ‥ وانما بأسلوب قصد به أن يكون أكثر تشويقا وايضاحا وأفعل في النفس ‥ ولكن للغريب أن هذه الفقرة المبسطة تذكرها النسخ الموجودة للمتن قبل الفقرة المختصرة وليس بعدها وذلك يدعو الى احتمال أن هذه النسخ أخذت عن أصل أقدم منها فأساءت النقل عنه وعكست وضع الفقرتين ‥ ويزكي هذا الاحتمال · تبديل مواضع الجمل بين النسخ المعروفة لتعاليم بتاح حوتب بالذات واضح تماما في أغلب فقراتها ·

السلوك ‥ والتدين

كان السلوك والتوجيه في مصر القديمة على خلاف ما كانت عليه في بعض الأمم القديمة الأخرى مثل العبرانيين ‥ اذ ظلت ترد الى خبرة الانسان وتجاربه أكثر مما ترد الى أوامر السماء ‥ ولشيء من هذا عنونت بعض تعاليم ونصائح الآباء والمربين المصريين ‥ بعناوين

دنيوية معبرة مثل بداية تعاليم الحياة .. دروس من الحياة .. وذلك على الرغم من التجائها أحيانا الى الوازع الديني .. واعتبار سبيلها أحيانا سبيل الرب .

فالمتطلع على الآثار المصرية .. والنقوش اليومية الخاصة بهم فى المقابر .. يلاحظ ايمانا عميقا بالخلود .. وتصورا كاملا عن عالم الآخرة .. وتدينا تاما .. نلمحه في الآثار .. في أدب قدماء المصريين .. فى سلوكهم .. فى معاملاتهم .. فى نصائحهم وسأترك الحديث لشخص يدعى آنى من عصر الأسرة ١٨ .. لكى يدلل لك على ذلك ويدون تعليق مني يستهل آنى أحد الفصول بعبارات يستذكر فيها ما سوف يردده أمام القضاء فى العالم الآخر .. قائلا : تحية لكم أرباب قاعة العدالتين الكبرى .. انى أعرفكم .. وأعرف أسماءكم .. لن أسقط خشية منكم .. فلن تجدوا لى ذنبا تبلغونه الى الاله .. ولن تصدر منكم كلمة سوء عني .. اذا تكلمتم صدقا فى حضرة رب العالمين .. فلقد أحسنت عملى فى بلدى .. ولم أجدف في حق الرب .. وما صدر أمر مسيء ازائى من ملك زمانه .

.. ثم يبدأ مشهد خاص يحاور فيه آتوم رب الخليقة كاتبه ووزيره تحوتى ..

آتوم : تحوتى .. ما الذى جرى بين أبناء نوت ؟ .. لقد

اعتادوا الصخب ·· وأخذوا في الشقاق ·· وارتكبوا
الآثام ·· وخلقوا الفتنة ·· وأقامـوا المذابـح ··
وابتدعوا السجون ثم جعلوا الكبار صغارا في كل
ما فعلناه ؟

تحوتي : لن تشهد بعد هذه الشرور مولاى ·· ولن تأسى
·· فأعوامهم قد قصفت وطبقت عليهم العقوبة بكل
ما فعلوه ·

·· وهنا يتدخل آني متقربا من تحوتي قائلا له :

آني : انما أنا لوحتك ·· وهذه محبرتك ·· أقدمها اليك
ولست ممن ينبغي أن تسحق دواخلهم ·· وما يجوز
لهلاك أن يلم بي ··

ثم يلتفت الى آتوم قائلا له :

ولكن ما جلية الأمر آتوم ؟ أراني في سـبيلي الى
القفر والأرض الصموت !

آتوم : حقا انها قفر بغير ماء ولا هواء ·· عميقة دفينة ··
مظلمة موحشة ·· لا حد لها ولا نهاية ·· ومع ذلك
فسوف تحيا في راحة في نفس هذه الأرض الصموت
·· هي أرض لا تمارس فيها شـهوات الجنس ··
ولكنك سـوف توهب فيهـا نورانية عوضا عن الماء
والهواء ومتعة الجنس ·· وسـوف توهب فيهـا
طمأنينة القلب عوضا عن الطعام والشراب ·

آني : ولكن آتوم .. ما مدى حياتى ؟

آتوم : لقد قدرت لك ملايين الملايين .. فهى حياة من ملايين .. بعدها سوف أقضى على كل ما خلقته .. وتعود هذه الأرض الى نون .. مياه الطوفان .. كما كانت فى المرة الأولى .

الأدب المصرى بين حلاوة التذوق وسحر البيان

لقد ظل كثيرون ممن لم يدرسوا العلوم المصرية القديمة لا يعرفون عن مصر الا أنها بلد الموميات (وأبو الهول) والأهرام و « توت عنخ آمون » . فعندما ظهر كتاب الأستاذ « ماكس بيبر » عن الأدب المصرى القديم دهشوا عندما قرءوا عنوانه وسأله بعضهم بشىء من الدهشة .. « أيوجد لمصر القديمة أدب قومى كالأدب اليونانى واللاتينى والألمانى ؟ » . وقد كان رده عليهم كتابه المختصر فى الأدب المصرى القديم .

ولا نستغرب من أجنبى عن مصر أن يسأل هذا السؤال اذا علمنا أن السواد الأعظم من المصريين المتعلمين يجهلون أمره ويعتقدون أن أقدم أدب فى العالم هو الأدب الاغريقى وعنه أخذت أمم العالم آدابها .. وقبله كان تاريخ الأدب فى الدنيا صفحة بيضاء ، ولكننا نؤكد لهؤلاء المتعلمين وأشباههم أن لمصر أدبا قوميا قديما وأنه أقدم من الأدب الاغريقى . واذا كانت كتابات « هومر » هى أول وأرقى ما عرف عن أدب الاغريق ، ولا يعلم شىء عن الأدب الاغريقى قبل ذلك .. فان الأدب المصرى معلوم تاريخه

من يوم ان نشأ وحبا الى أن درج ونما ووصل الى نهايته ٠ ويمكننا ان نعطى مثلا منه فى كل أطواره رغم ما نلاقيه من بعض الفجوات فى صفحاته ، وسنجد أنه أدب لا يقتصر على النقوش الدينية وتدوين الحقائق والمقالات العلمية ، ولكنه يتعدى ذلك الى مؤلفات لها قيمتها الأدبية تثبت أن المصرى القديم كان يقدر الأدب ويتذوق حلاوته ويسحر ببيانه فى وقت كان الاغريق وغيرهم من الأمم القديمة يهيمون على وجوههم ويتخبطون فى ظلام الجهل من أجل ذلك فضلنا أن نأتى هنا بكلمة قصيرة عن منزلة الأدب المصرى بين آداب الأمم التى عاصرته قبل أن يظهر الأدب الاغريقى فى عالم الوجود فنقول :

لا شك أن مصر أول بلد ربى فى نفوس أبنائه روحا أدبية خالصة للأدب ، مجردة عن أى غرض آخر ، فقد وضع المصرى المؤلفات الأدبية البحتة منذ ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد لا يريد بها شهوة سياسية أو تأييدا أو نفعا تجاريا ، وانما يريد الأدب لذاته ٠٠ يريد غذاء الروح واشباع النفس الصافية بسمو التعبير وعلو المعنى ٠

وكان لمصر تاريخ فى هذا المضمار ٠٠ فلم يظهر الأدب العبرى الا وليدا بعد اثنى عشر قرنا من ذلك التاريخ ، والأدب البابلى كان يترنح فلم يكن انتاجه مظهرا خالصا للأدب ولا قصد به خدمة الأدب حبا فى الأدب كما كان الشأن فى مصر ٠٠ فان الأدب أريد به فيها ذلك الذى

يحدث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية كالتي يحسها اذا استمع الى شدو الشادي أو اذا رأى الصورة الجميلة ونحسس التمثال البديع ٠

والكلام في الأدب المصرى يقتضي التعرض أولا لأنواعه ، وثانيا لأساليبه فمن الناحية الأولى نرى أن الأدب المصرى من النوع الغنائي أو العاطفي وإن النوع القصصي كان بارزا فيه ، ويلي ذلك الأدب العلمي والحكم والأمثال (التأملات) ٠ وليس من شك في أن الأدب الغنائي والقصصي قد نبتا في التربة المصرية لأن كلا منهما يضرب بعروقه الى ما قبل ظهور الكتابة وهو العهد الذى يشبه العصر الجاهلي في اللغة العربية . ولا غرابة في أن ينمو الغناء والقصص بين قوم تخطوا طور الهمجية وأصبح لهم مشاعر ووجدان يحتاج الى تغذية ٠٠ وهي ان لم تواتهم عن طريق القراءة والنظر ٠٠ لا تبعد عليهم عن طريق السمع والرواية ، وكلنا يدرك تأثير القصة الآن في العامة وكيف أنها تجذب منهم القلوب والمسامع ٠

ولم تقصر بابل في بعض النواحي الأدبية فقد ظهر فيها الأدب الغنائي والقصصي في الوقت الذى نبتا فيه في وادي النيل ، واذا كانت احدى الأمتين المصرية والبابلية أسبق من أختها وأقدم انتاجا فان ذلك لا يعني أن احداهما قد أخذت عن الأخرى أو تأثرت بأدبها بل ان كلا منهما كانت مستقلة في انتاجها وكان لأدبها مظهر خاص

خاضــــع للمؤثرات المختلفة فى الأدب ومنهـــا البيئـــه والاستعداد الفطرى والدين والحضارة ٠

والظاهر الذى تحدثنا به الآثار أن « بابل » كانت أكثر خصبا فى انتاج القصص والشعر القصصى لأن الدين قد أظله فنمت القصة فى كنفه وصارت لها أوزان ترجع الى آماد بعيدة ، هذا اذا لم تكن قد عملت عوادى الزمن على محو بعض القصص المصرية من عوالم الآثار أو أبقتها دفينة فى بطن الأرض ٠٠ ولم تســـمح لها بعد بالظهور وأعتقد أن أحد هذين الفرضين صحيح لأن ما بقى لنا من الشعر القصصى يدلنا على أنه مظهر لأدب راســـخ القـــدم متشعب النواحى ٠٠ خصب الخيال كثير الأبطال يذهب الى أبعد مدى فى تصوير الآلهة ومقدرتهم وخوارق فعالهم فى كل أطوار التاريخ المصرى ، ولا أدل على ذلك من قصة مخاصمة « حور » « وست » التى عثر عليها حديثا وأبطالها جميعا من الآلهة ، وقـد كان البعض يعتقد أن الاغريق وحدهم هم الذين انفردوا باشراك الآلهة فى تمثيلياتهم حتى ظهرت هذه القصة فغيرت هذا الرأى تماما ٠

ومهما بلغ المدى الذى ســـاهمت به « بابل » فى القصة عامة فان من المقطوع به أن الأســـبقية لمصر فى اختراع الأقصوصة ، وصياغتهـــا صياغة فنيـــة ممتعة وتحليلها تحليلا نفسيا مناســـبا وتمهيد الطريق للتحليل النفسى الرائع الذى نراه فى الأدب اليونانى وفى الآداب

الحديثة فى عصرنا عند مختلف الأمم الراقية على مثل ما ذهب اليه « مارسل بروست » أو « هنرى جيمس » او « هـ٠ج٠ ولز » مما مثل اتجاها جديدا فى الأدب واكسب التاليف الروائى عمقا فى الفكرة ونزعة فلسفية قوية لم تمكن تخلو منها الروايات القديمة ولكنها اشتدت جدا فى الزمن الحديث ٠

هذا ما كان من أمر الأدب القصصى ، أما الغنائى فقد كانت مصر وبابل فيه كغصنى شجرة واحدة ، فقد أخذت كل منهما من هذا الفن بنصيب كبير وان كان انتاج « بابل » حتى الآن أكثر من إنتاج مصر ان لم تكن الأرض تخبىء ما فى باطنها على أن القوة والعذوبة كانت متمثلة ظاهرة فى مصر على أختها فى هذا اللون من الأدب ٠

ـ ولقد كان الشعر الدينى عند الأمتين حلوا ولا وجه للمفاضلة بين أحسن ما أنتجته بابل وبين ما عثرنا عليه فى مصر فى عهد الدولة الحديثة ٠

أما الأدب العبرى فقد تخلف عن الأدب المصرى فى الظهور عشرة قرون ، وقد وصل الى درجة جعلته فى مرتبة واحدة مع أحسن ما أخرجته مصر وبابل ، ولم يستطع أن يتفوق عليهما ، وقد استطاع الاغريق الذين أتوا بعد هذا العهد أن ينهضوا بالشعر الغنائى والعاطفى الذى وضعت أسسه فى مصر وابتكروا فيه مذاهب جديدة كما فعلوا فى كل فروع الأدب الأخرى ٠

ـ ننتقل بعد ذلك الى الأدب التعليمى والتأملى وتدل جميع الشواهد على انه من وحى مصر فالمصريون هم الذين ابتدعوا ٠٠ وهم الذين برزوا وقطعوا أشواطا بعيدة فيه ٠٠ وتخلف عن السباق معاصروهم وكان هذا اللون من الأدب محببا الى الذوق المصرى وقد بقى المصرى عدة قرون مهتما بالتأليف فيه ساعيا الى تحسينه باذلا جهدا يتفق ومهارة الكاتب واتساع أفقه الاجتماعى ٠

ـ ويقيننا ان مؤلف « بتاح حتب » فى الحكم والأمثال كان نواة لظهور أمثال سليمان وحكمه ٠٠ يؤيد ذلك ما اشتهر به المصريون وتحدث به العالم القديم عن براعتهم فى الحكمة وضرب المثل . وقد فصلنا ذلك عندما وازنا بين أمثال سليمان وتعاليم « أمنموبى » فى باب الحكم والأمثال ووصلنا الى أن الأولى قد أخذت عن الثانية قطعا بأكملها ٠

ـ والآن وقد انتهينا من الكلام على موضوع الأدب المصرى ننتقل الى الناحية الأخرى منه وهى أسلوبه ، وقد كان الأسلوب الجميل موضع فخر الكاتب ومحل تقدير القارىء ـ جاء فى بردية عن أمثال « بتاح حتب » « أنها الأقوال التى صيغت فى أسلوب جميل والتى تحدث بها الوزير عندما كان يثقف بالمعرفة ويعلم مبادىء الحديث الطريف » وجاء فى ورقة « نفررهو » على لسان الملك « سنفرو » يخاطب حاشيته ايتوا لى بانسان يروح عن

نفسي بكلمات جميلة وأقوال مختارة تجد في سـماعها جلالتي تسلية وراحة » ٠

ـ واذا قرأنا « قصة الفلاح الفصيح » التي كتبت قبل عام ٢٠٠٠ ق٠م وجدناها سلسلة من الأفكار السامية عن العدالة وحقوق الانسان صيغت في أسلوب قوى بليغ بدا منه أن كاتبها أراد أن يظهر قدرته الفنية على جمـال الصياغة وروعة الأسـلوب ٠ وهـذه الظاهرة التي تجعل عذوبة الأسـلوب هدفـا يرمي اليه الكاتب كانت بارزة واضـحة في مصر مطمورة منعدمـة في بابل جارتهـا ومعاصرتها فلا جرم أن كانت مصر أول أمة شغفت بالثقافة الأدبية وعنها أخذ العالم ٠

ـ والأسلوب الذي يهدف اليه المصري هو الأسلوب العذب الذي لا تكلف فيه فينساب الى النفوس وترتاح اليه الأسماع ، ولابد أن يكون مناسبا للموضوع الذي يعالجه ، فيقوى ويشتد في الجلي وعظائم الأمور ٠٠ ويلين ويرق في التعبير عن العواطف أو الترجمة عن مكنونات الفؤاد ٠ ولكن هذا الأسلوب الجميل قد دخلت عليه الصنعة بمرور الأيام فأفقدته روعته وعذوبته وأصابه التكلف والزخرفة اللفظية وأصبح الأديب يضحي بالمعنى السامي في سبيل تزويق الألفاظ كما حدث للغة العربية في العصر العباسي الثاني ٠

ولقد بدأ هذا الفساد يدب في الأدب المصرى منذ الدولة الوسطى وتظهر بوادر ذلك في قصة « سنوحى » . ولقد تعلق المصرى بهذا الإسلوب وأشرب قلبه حبه حتى ان التلاميذ فى الدولة الحديثة وبخاصة عصر الأسرة التاسعة عشرة والعشرين ملأوا كراساتهم نماذج منه يستظهرونها ويأخذون أنفسهم بمحاكاتها حتى يصلوا الى ملكة تمكنهم من الابانة عما في ضمائرهم بهذا النوع المزخرف المحبب الى نفوسهم .

وفى ورقة « انستاس الأولى » نرى مثالا لهذه الطريقة الأدبية التى سادت عهد الدولة الحديثة فى صورة خطاب هجائى يعيب فيه كاتبه زميلا له جهله فن كتابة الرسائل ، وضعفه فى الحساب حتى لا يستطيع أن يقدر وزن مسلة ، وعدم درايته بمعرفة أحسن الطرق للسباحة فى سوريا .. ولعل السر فى شيوع هذه الورقة أنها تحتوى على فكاهات أو نكت لا نستسيغها لاختلاف الذوق بين عصرنا وعصرها ، أو لأن فيها منهاجا لما يجب أن يكون عليه الرجل المثقف فى هذا العصر ، وهى فى جملتها تدل على نوع من الصلف فى الكتابة . فالأسلوب المصرى كالفن المصرى قد وصل الى قمته قبل حلول الدولة الحديثة ولا يمنع هذا من أن تلمح فيه من وقت لآخر قطع فنية تتذوق فيها حلاوة الأسلوب الفطرى وقوته ولكنها قليلة كما أن الشعر العاطفى لم يودع قوته وتأثيره فى عهد الدولة الحديثة ،

بل بقي جميلا رائعا .. بل ربما غطى جماله فيها على ما سبقه . وربما كان السبب فى ذلك موجة الرخاء والترف التى غمرت المصريين عقب حكم الأسرة الثامنة عشرة ، وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة والعشرين فأطلقت ألسنتهم بالأغانى العذبة والأناشيد المرحة السعيدة مترجمين بها .. عما يذوقونه من حلاوة الدنيا ولذة الحياة . هذا اذا لم تكن الأرض قد خبات فى ثناياها مقتطفات من الشعر العاطفى من انتاج الدولة الوسطى ، أو ما يجعلنا نعتقد بأن ما نسب الى الدولة الحديثة ليس كله من صياغتها .

● منزلة الأدب المصرى

قال « أندرى مروا » الكاتب الفرنسى العظيم فى كتابه : Aspects de la Biographie p. 177.

« ان الأدب لا يقاس بالنمو والتقدم فلا يمكننا القول : أن «تنسون» الشاعر الانجليزى أعظم من «هومر» الشاعر اليونانى القديم ، أو أن « بروست » أعظم من « منتانى » لأن الأدب ينساب فى نغمة ايقاعية ولا يسير فى خط متصل فلكل من الأدباء وقته وظروفه »

وتكمن قيمة الأدب القديم فى أنه يرينا اللبنة الأولى فى بناء الأدب والجهود التى بذلها الأدباء القدماء فى خدمته

حتى وصل الى مظهره الحديث • فلا وجه للمقارنة بين الآداب القديمة بما فيها المصرى والبابلى وبين الآداب الحديثة اذ ان الثانية نتيجة نمو الأولى وتطورها بين الأدبين فى جملتهما فروق من جهات ثلاث : ــ

ـ **الأولى** : أن الأدب المصرى لم ينتج لنا أدبا نفسيا عميقا كالأدب الحديث •

ـ **الثانية** : ان الأدب المصرى قدرته محدودة فى تصوير الجو الذى يناسب القصة •

ـ **الثالثة** : قوة التأثير والأسر •

● أما عن الناحية الأولى فنرى أن المصرى لم يهمل التحليل النفسى جملة بل أخذ منه بطرف •• كما نرى فى قصة « سنوحى » المصري القديم التى حللت لنا ناحية من نفسيته حين نفى عن بلاده واشتاق الى وطنه • ولكن ذلك يعتبر يسيرا اذا قارناه بالتحليل العميق الذى يلجأ اليه فحول علم النفس الآن فى قصصهم الرائعة مثل قصة Daisy Miller التى كتبها « هنرى جيمس » أو قصة الاتصال السامى Die Wahlverwandlachafter التى كتبها « جيته » الألمانى الفذ فى أدبه • ومع ذلك فان التحليل النفسى الذى نقرأه فى قصة سنوحى المصرى خير مما نجده فى قصص « الجن والعفاريت الشائعة » فى آداب العالم عامة ، ولا يضير الأديب المصرى أن تحليله خلا من العمق

والروعة فيكفيه فخرا أنه وضع الأساس وجاء غيره فشيد على قواعده ثم جاء التطور الحديث فأعلى البناء وزخرفه ٠

● وأما الناحية الثانية ٠٠ ناحية الجو الذى يخلقه الأديب لقصته أو لموضوعه فينتقل بالقارىء الى العالم الذى يريده ٠٠ فهذه أيضا للمصرى فيها نصيب المؤسس الأول ، فان أول مأساة (دراما) وضعت على صورة تمثيلية كانت من فعل الأدباء المصريين وترجع بتاريخها الى عهد الأسرة الأولى(١) ٠

وهذه المأساة تشبه رواية تمثيل « آلام المسيح » وموته كما كانت تمثل فى القرون الوسطى ولم تصل المآسى التى ابتكرها المصريون فى قوتها ما وصلته عند الاغريق ٠٠ وفى عصرنا الحاضر ، ولا تقتصر الحاجة الى الجو المناسب عند تأليف القصة أو الشعر القصصى ، بل قد تحتاج اليه أيضا فى الشعر الغنائى كما نجده فى كتابات « هومر » اليونانى (الالياذة) وفى كتابات « فرجيل » (الاينياد) ٠ وقد وجدنا أثرا لتصوير الجو الأدبى فى الكتابات البابلية (جلجاش) ولكنه قليل ٠٠ وليست المأساة المصرية السابقة هى كل ما وصلنا عن هذا النوع فاننا نجد ذلك « الجو الأدبى » مصورا فى قصة

---

(١) Sethe, Dramatische Texte 24 Altaegy ptischen Mysterien spielen,

« سنوهى » وفى قصة « ون آمون » اذ ان قارىء هاتين القصتين لا يلبث أن ينتقل مع بطليهما الى ســوريا ويرى بعينيه ويحكم برأيه .. وقد تكون وسيلة المؤلف ساذجة .. ولكنها على كل حال تحدث الأثر المطلوب وتمتــاز عن القصص الأخرى التى فقدت هذه الميزة والتى يقصها مؤلفها ببساطة مثل قصـــة « الأخوين » وقصـــة الملك « خوفو والسحرة » وغيرهما من القصص ، واذا كانت هذه القصص الأخيرة بمثابة قطع من الحلوى يستحلبها الأطفال فى أفواههم فان قصتى « سنوهى وون آمون » غذاء عظيم للرجـــال الرشداء . ولا جدال فى أنهما أقـــدم قصتين قصيرتين جيدتين فى العالم تانتا ذخيرة للأدب العالمى وان لم تصلا فى موضوعهما الى نظائرهما فى العصر الحديث .

● بقيت الناحية الثالثة وهى قوة التـــأثير وشـــدة الأسر ، وهذه نرجع الى عاملين : الألفاظ والصوت . فـــان اجتمع اللفظ العذب الرشيق مع الصوت المناسب أخـــذا بمجامع القلوب وجذبا الأنظار والأفـــكار . أما الألفـــاظ الجميلة فاللغة المصرية غنيـــة بهـــا ونراها فى موضوع « شجار بين انسان سئم الحيـــاة وروحه » . وفى خطب « الفلاح الفصيح » التى استهوت الملك نفسه ، وأما سحر اللفظ ووقعه فى النفس فقد حرمنـــاه لأن اللغـــة المصرية تنقصها الحياة والحركة .

● وجملة القول أن مصر كان لها أدب قومى منـــذ

۲۰۰۰ سنة ق٠م وأن هذا الأدب هو وليد حيويتها ٠ ولم نأخذه عن غيرها أو تتأثر فيه بغيرها وهو وان لم يبلغ مرتبة الأدب الحديث الا أن له فضل الخلق والسبق والتأصيل ٠

واذا كان الأدب المصرى قد أخذ يتدهور فى العصور المتأخرة فانه ترك الزمام للأمة اليونانية كى تحلق بتفكيرها فى أجواء عالية منه على سنة التدرج طبعا ٠٠ فانه ليس فى مقدور الأدب الأغريقى ولا الفن الأغريقى أن يولدا كاملى النمو كما ولدت « فينوس » (الزهراء) ناضجة كاملة النمو فى أمواج البحر ، فالأدب المصرى غذى الأدب العبرى والأدب الاغريقى فشبا ولعبا دوريهما فى الحياة ونشك بحق فى مقدرة الأدب اليونانى والأدب العبرى على بلوغ المرتبة التى وصل اليها كل منهما اذا لم يتخذا من الأدب المصرى عونا على النمو والارتقاء بطريقة لا نزال نجهلها ٠ للأسف ٠

مكانة المصرى .. ومقدار ذكائه

● لقد بقى التاريخ المصرى والأدب المصرى ، وكل ما يتعلق بالحياة المصرية سرا غامضا فى كل العـــالم حتى بداية القرن التاسع عشر ، أما ما نقله اليونان عن المصريين مدة اختلاطهم بهم فلم يكن الاحقائق مشوهة نقلت بالرواية فضلا عن أن ما وصل الينا لا يمثل الا جزءا من ناريخ البلاد أيام شيخوختها وتدهورها .

● وقد كان اليونان الذين نقلوا الينا بعض معتقدات المصريين وعاداتهم الموروثة من أزمان سحيقة ينظرون اليها بعين الاحتقار والرهبة معا لأنها لا تتفق مطلقــا مع دنيــا حضارتهم . وقد بقى المصريون فى نظر الأوروبين والمصريين الحاليين كالصينيين الأقدمين .

● ومن المدهش أنه رغم حركة الكشوف الحديثة التى قامت فى عصرنا فانهم لا يزالون معروفين بأنهم قوم لا ثقافة لهم ولا علوم ولا آداب كباقى أمم العالم حتى أن المصرى الحديث عندما يريد أن يتكلم عن الأدب فى مصر

لا يذكر شيئا عن مصر القديمة بل يقصر كلامه على الأدب العربي فى مصر . وكان مصر منذ فجر التاريخ حتى الفتح العربى لم يكن لها شىء قط من التراث الأدبى يمكن أن يفاخر به أبناؤها كما يفاخر الفرنج بأدبهم الخاص في مختلف العصور ، والواقع أن المصرى لا يلام على جهله بآداب بلاده العتيقة وربما يرجع السبب فى ذلك الى عاملين هامين : الأول : انه منذ الفتح العربي اختفت لغة البلاد جملة وحلت محلها اللغة العربية وآدابها فأسدل الستار على لغة القوم وأصبحت نسيا منسيا .. ولم يبق للمصرى مجال فى أن يدرس تاريخها وآدابها وبخاصة اذا علمنا أن اللغة قد ماتت ..

العامل الثانى : أنه لما حلت رموز اللغة القديمة .. لم يعتن المصريون بدرسها بل تركوا مجال هذا الدرس للأوربيين الى عهد قريب جدا عندما بدأ نفر من المصريين يتعلمون لغة البلاد القديمة ، ولكن رغم ذلك فان معظم المثقفين في مصر أو الذين يدعون أنهم مثقفون ، لا يزالون يعتقدون أن مصر القديمة لم يكن فيها حياة أدبية وثقافة خلقية كالتى عند الشعوب المتحضرة .

على أن المصريين فى عهد تاريخهم الأول كانوا على عكس الفكرة الشائعة عنهم اذ كانوا قوما لهم هبات عقلية ، وكانوا متوقدى العزيمة ، ايقاظا على حين كانت أمم أخرى من الأرض لا تزال فى سباتها ، ولقد كانت نظرتهم للعالم ملتهبة متوقدة بالمغامرة كنظرة الاغريق

الذين آتوا بعدهم بآلاف السنين · ويشاهد ذلك جليا فيما وصلوا اليه من الأعمال الفنية الواســعة النطاق ، بل يشاهد بوضوح أكثر فى أعمال التصوير والنحت التى تبرز الحياة عندهم فرحة ناطقة

ـ ان قوما بمواهبهم هذه جديرون بأن يجدوا سرورا فى اعطاء أغانيهم وقصصهم شكلا أغنى وفنا أكثر ، وكذلك نمت بينهم من وجوه أخرى حياة عقلية وعالم فكرى يبحث فيما وراء الأشياء الدنيوية ودائرة الدين · ومنذ أن اخترع المصريون نظام الكتابة نمت بينهم منذ زمن بعيد مجموعة من الكتابات المختلفة الأنواع تعهدوها بالرعاية · وجعلوا لها صبغة أدبية وللأسف الكثير منا لم يحفل بهـا ، ولم يعتقد يوما بأن للمصريين القدماء أدبا يعتد به ·

ولقد حفظ لنا التاريخ شــيئا كثيرا من أعمـــال التصوير عند المصريين حتى استطعنا أن نكون عنها فكرة تكاد تكون ثابتة لا تقبل التغيير كثيرا ·· على حين أن موقفنا بالنسبة للأدب المصرى ـ لسوء الحظ ـ لا يزال مختلفا جدا اذ ليس لدينا منه الا شىء قليل · لأن العثور على مؤلف أدبى يتوقف على مصادفة غير متوقع حدوثها كبقاء ملف من البردى هش فى جوف الأرض من ثلاثة أو سبعة آلاف من السنين· ولذلك لم نعثر الا على قطع منفردة كانت بلا شك فى الأصل أجزاء من مجاميع عظيمة من الكتابات على أن كل كشف جديد من ذلك النوع يضيف خاصية جديدة الى الصورة التى صــورناها لأنفسنا عن

الأدب المصرى وهذه الصـــورة أصبحت فى الحملة تكاد تكون صحيحة لأنهـا تشتمل على سلوكيات وأنماط لهـا قيمتها الفعلية ٠٠ فمن كل مرحلة تاريخية يظهر لنا فيها الأدب المصرى مطبوعا بطابع خاص يميزه عن غيره ويتفق مع ما نعرفه عنها من الحقائق التاريخية ٠

ـ وبقدر ما تتسع له طاقتنا من اطلاع على آثار اللغة المصرية القديمة نستطيع أن نقول ان هناك دلائل تدل على أن العناية كانت موجهــة الى تنمية اللغــة فهى غنيه بالاستعارات والتشبيهات أى انها « لغة مثقفة » ، « لغة انشاء وتفكير » للشخص الذى يكتب بها ٠ ومن المحتمل أن أحد كتب الأمثال القديمة على الأقل قد أنشىء فى عهد الدولة القديمة فى خلال حكم الأسرة الخامسة سنة ٢٧٠٠ ق ٠ م تقريبا وهذا هو العصر المعروف لدينا بعصر المستوى العالى لفن التصوير على الخصوص ولكن يظهر أن الرقى التام للأدب المصرى القديم لم يبلغ غايته الا فى العصر المظلم الذى يفصل الدولة القديمة عن الدولة الوسطى ٠

ولذلك فى عهـد الأسرة الثانيـة عشرة المشـــهورة ١٩٩٥ ـ ١٩٧٠ ق٠م وكتابات هذا العصر ظلت تقرأ فى المدارس خمسمائة عام ولم يجرؤ أحد أن يحيد عن لغتها أو أسلوبها فى الكتابة ٠ والخاصية التى يمتاز بهـا هـذا الأدب القديم ظاهرة فى الولوع بالتعابير الممتازة ٠٠ ولا نستطيع أن نسمى ذلك تصنعا ٠٠ وحلاوة الألفاظ مع عذوبتها ، كانت تعد صناعة عالية لابد أن يبذل الانسان

جهدا ليصل اليها . ويشاهد كذلك أن هذا كان حقيقة ميل هذا العصر من نقوشه التى طالما كان يقوم بتاليفها جماعة من المتعلمين ، فانها كانت تكتب بالأسلوب المزخرف .

وبعيد عن الصواب أن يقال ان كل مجهودات هذا العصر كانت موجهة الى تنميق الألفاظ فحسب ، فان كتاب هذا العصر أقدموا على الكتابة فى موضوعات هامة ولم يحجموا عن الخوض فى المسائل العميقة .

ونلاحظ من جهة أخرى أن الديانة تأخذ مكانا ثانويا فى هذه الكتابة ولا يكاد يذكر شيء فى هذه الكتب الأدبية عن كل الآلهة الذين كان المصريون يهتمون بهم كثيرا على حسب الفكرة الشائعة عنهم

وليس قصدنا أن نغض النظر عن الحقيقة الواقعة وهى أن جزءا عظيما من هذا الأدب القديم قد ضاع ، وليس معنى هذا أنه لم يكن للمصريين أدب فقد وجدنا أمثلة كثيرة ، وعقيدتنا أن الضائع منها أكثر . وما وجدناه يرجع الفضل فى عثورنا عليه الى المصادفة المحضة ، فقد وجدنا بعضا فى قبور التلاميذ مدفونا معهم . على حين أن كتبا من نوع آخر كانت تحفظ مع الأحياء فيدركها العفاء .

ومهما يكن من أمر فان المدارس لم يقل شأنها فى

العصر الثـــانى للأدب وهو عصر الدولة الحديثة الأخير (حوالى ١٣٥٠ ق٠م) ٠

وقد نما هذا الأدب الحديث مضادا للأدب القديم فانه الى هذا الوقت كانت لغة الآداب القديمة هى لغه الأدب فى كل القـــرون ، وغـــاية مـــا حـدث ان اقتربت من لغة المحادثات فى الوثائق الحيوية أو فى القصـــص الشائع وأخيرا أصبح الفرق بين اللغتين عظيما الى حد أن اللغة القديمة لم يعرفها أحد من عامة الشعب ٠ غير أن هذه القيود قد حلت فى عهد الثورة الدينية العظيمة التى حدثت فى أواخر عهد الأسرة الثامنة عشرة أيام « امنحوتب الرابع » ، فقد بدأ القوم يكتبون الشعر بلغة العامة ٠ وقد كتبت بهذه اللغة « أنشودة الشمس » الجميلة وهى عبارة عن منشور للاصلاح الدينى ٠ وقد اختفى كل جديد أدخل مع هذا النظام الذائع بعد انهياره ٠٠ اللهم الا نظام الكتابه بلغــة العــامة فانه كتب له البقاء وذلك ــ بلا شك ــ لأن الأحوال التى استمرت الى هذا الوقت قد أصبح بقاؤها مستحيلا وفى عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ازدهر أدب قوى مكتوب باللغـــة الجديدة التى نســـميها « **المصرية الجديدة** » ٠

وفى عصر « المصرية الجديدة » كان كذلك للمدارس نصيب وافر ولكن كتاباتها فى ذلك العهد اتخذت صيغة أكثر حياة مما كانت لها فى العصر القديم ٠ وهذه الحيوية تظهر بوضوح فى أدب هذا العصر اذ رأى الناس الدنيا

كما هى وشغفوا بها وعلى قدر ماوصل الينا من كتاباتهم نلاحظ أن الأفكار العميقة ليس لها محل فى أدبهم ، مع أنه من الجائز أن كشفا جديدا قد يصحح حكمنا من هـذه الناحية ·

● **ولم يستمر الأدب المصرى الجديد** طويلا فى طريقه باستعمال لغة الشعب كما بدأ حقيقة ·· كما كنا نظن اذ سرعان ما أخـذ الكتاب يبحثون وراء تهـذيب العبارات وهذه كانت علاقة ظاهرة فى الأدب القديم · وقد أصبحت لغة الفرد المهذب محلاة بألفاظ وجمل منتقاة وكان يجد سرورا فى تزيينها بألفاظ أجنبية وقد بقى هذا النوع من الأدب نحو ٥ قرون على ما يظهر ثم أصبحت لغته منعدمة وكان على الأولاد فى المدارس أن يتعلموها وبذلك يظهر أنه قد قضى على الحياة الأدبية · وقد بقى الحال كذلك عـدة قرون الى أن ظهـر أدب جـديد يسـمى « بالديموطيقى » ·

اخلاق قدماء المصريين من كتاباتهم

● اذا استعرضنا الحكمة والنصيحة عند المصرى القديم ، نلمس مدى الذوق الرفيع عند المصرى القديم وأثر ذلك فى سلوكه ومعاملته ٠ وما زالت هذه الحكم والنصائح من احب الأشياء الى قلوب جميع الشعوب وتحتل مكانة عظيمة بين كتب القدماء لأنها اشتملت على دراسة قيمة ، وخلاصة تجارب الحياة حيث ترسم لهم طريق السعادة وتضع بين أيديهم المثل العليا لكل من يريد النجاح فى الدنيا والآخرة ، وتنظم صلة الناس ببعضهم وتضع لهم طريقا مفروشا بالنور لكى يضىء لهم حياتهم ٠

● واذا تصفحنا أمثال هذه الكتب المشتملة على الحكم والنصائح المصرية نقبل عليها بنفوس راضية سواء أكانت مما أتت به الأديان أم وردت فى كتابات الاغريق وذلك لأنها تكشف لنا عما فى قرارة النفس البشرية ٠ نقرؤها ثم نقف قليلا لنتأكد من صداها فى نفوسنا وكثيرا ما نجد مهما بعدت الشقة والزمان بيننا وبين زمن كتابتها الا أننا مازلنا فى حاجة اليها ونتعلم منها الشىء الكثير ٠

● وكانت هذه الحكم والنصائح التى تحكم الذوق

الرفيع عند المصرى القديم من احب الأشـــياء الى قلوب المصريين فى جميـــع آدوار حياتهم ومعاملاتهم وتاريخهم يكتبها الحكماء فى أغلب الحالات على لسان أب ينصح ابنه ويرشده الى حسن الســـلوك كيما يصـــل الى أعلى المراتب ٠

● ولدينا من هذا النوع عدة برديات ربما كان أشهرها جميعا البردية المسماه نصائح « بتاح حتب » الذى كان وزيرا للملك « زركارع ـ أسيس » من ملوك الأسرة الخامسة ، ونعرف له قبره فى جبانة سقارة ٠

وقد وصل الى أيدينا أكثر من نص واحد من بردية نصائح بتاح حتب أقدمها من الأسرة (١٢) أى بعد موت مؤلفها بأكثر من ٦٠٠ سنة ٠ والنسخة الكاملة من هذه البردية (١) موجـودة الآن فى متحف اللـوفر ببـاريس وتسمى papyrus prisse وهى من الأسرة الثانية عشرة ، وهناك بردية أخرى فى المتحف البريطانى وهى من الدولة الحديثة ٠

● ويتردد فى نفوس الكثيرين سؤال طالما سمعناه منهم أثنـــاء زيارتهم للآثار ويتخيلون أن هـــذه الآثار التى عاشت أجيالا طويلة لم تشيد الا بالاستعانة بالقوة والقسوة

---

(١) وأول من درسها دراسة وافية وقارن بين نصوصها المختلفة هو :ـ
E Dévaud les Maxines de Ptah - Hatep, Fribourg, 1916.
وقد ترجمت فى كثير من المؤلفات وظهرت عنها أبحاث كثيرة أحدثها فى عام ١٩٥٥ باللغة الالمانية ٠

فى تسخير العمال الذين قاموا ببنائها ، ويتبادر الى الذهن أن ملوك الفراعنة كانوا ظلمة قساة القلوب ، وأن الأمـراء وحكام الأقاليم كانوا أعوانا للملوك فى هذه المظالم ، فكأن تاريخ مصر سادته مظاهر الشدة والارهاب ٠

ـ ولابد أن نؤكد أن هذه الآثار الخالدة لم يشيدها ملوك الأسرة الرابعـة بالسخرة علاوة على أن هؤلاء الملوك كانوا يستخدمون العمال عنـدما تغمر مياه الفيضـان أراضيهم ٠٠ ولا يكون لديهم ما يشـغلهم من أعمـال الزراعة ٠ ودلتنا النقوش الأثرية ووثائق البردى على أن فرق العمال كانت تحظى بنصيب كبير من رعاية الملك وعمال حكومته ، وانى أقدم للقارىء هنا صورة صادقة من

أخبار هذه العصور القديمة ليتبين مظاهر الرأفة والشفقة التى استعان بها حكام مصر ٠

ـ وقد خلف هؤلاء الملوك والحكام فيما عثر عليه من النقوش ومدارج البردى وغيرها نصائحهم وكتاباتهم التى كانت تحض النشء على الرفق وحسن المعاملة وحفظ حقوق الغير وعدم العبث بحاجات الناس ٠

ـ ومن ذلك نعلم أن الشفقة عرفت طريق هؤلاء القوم فمـا كانوا يقتلون الناس ظلما وما كانوا يجلدون العبيد كما يتوهم البعض ٠

ـ وكان للدين عليهم سلطان كبير نافذ على عقولهم فكان يدعوهم الى التدين والتقوى والصلاح والاحسان

الى الخير والعمل الصالح ، وكانوا يرفعون شعار عمل الخير والاحسان والشـفقة ومد يد المعونة لغـير القادر ، اذ اعتقدوا أن الانسان لا يمكنه الوصـول الى جنات الخلد والنعيم الدائم فى السماء الا اذا اظهر أثناء الحساب عند وزن القلب ، أن روحه طاهرة نقية ، وانه لم يأت شرا ولا اثما ، ولم يسبب فى حياته ضررا أو قسوة لأحد من الناس ، وأن صفحة أيام حياته على الدنيا كانت ناصعة البياض خالية من الآثام والسيئات ، وأنه لم يعتد على أحد ولم يتدخل فى شئون الغير .

● اذكر فيما يلى بعض ما جاء فى كتابات القدماء التى ترجع فى تاريخها الى عهود مختلفة ، كى يقف القارىء على ما كان عليه أجدادنا الفراعنة الأمجاد من شفقة ولين ورفق مما لم يحدثنا به التاريخ عن أمة سبقتهم أو عاشت فى عهدهم ، فهم الذين وضعوا أساس المدنية والتشريع فى العالم الذى سـار فى اثرهم فى الحضـارة والرقى ، واقتفى خطواتهم فى المدنية والحضارة .

● فهذا نص يقول : « لم ارتكب اثما ضد الرجال ، ولم يشعر أحد بالجوع ولم أسبب بكاء أحد ، وما أمرت بقتل نفس ، ولا ارتكبت جريمة القتل بنفسى ، ولم اسرق أى شخص ، وما جعلت الناس تخافنى ، ولم اك جبـارا عاتيا ، ولم اك قاسيا ، فكنت أمد الجائع بالخبز ، وأروى العطشان بالماء ، وكنت اكسى العراة » .

ـ **هذه كلمات كتبها صـــاحبها يرجو عليها** من الآلهه ثوابا وجزاء طيبا فى جنات الخلد ، فنرى من وصفه لنفسه أنه كان على شىء كبير من سمو الأخـلاق والكرم والرحمة فى دنياه ، وأنه كان محبا للناس مشفقا عليهم ، وأنه كان يعمل الخير بدافع من نفسه ٠

ـ **وكان اعتقادهم فى الحياة بعـــد الموت فى القبر** ، أكبر وازع لهم لعمل الخير وطهارة الذمة فقد تخيلوا أن نفس الانسان يحل بالقبر بعد وفاته ، ولا يكون الاحسان والرحمة اليه الا اذا كان المتوفى قد أحسن فى حياته معاملة الناس والتقرب اليهم بالاحســـان والشفقة والخير ، حتى اذا ما توفى حفظ لنفسه ذكرى طيبة فيذكر دائمـــا بالخير والترحم علبه ، والصلاة لروحه فيعيش سعيدا فى آخرته ٠

ـ وما أكثر ما تركه لنا أجدادنا الفراعنة من قبيل تلك النقوش والكتابات على جدران قبورهم ما يدل على أنهم لم يتسببوا فى ضرر أحد ، وكأنهم قد خلفوها لنسير بما جاء فيها ٠

ـ فهذا أحد قوادهم الحربيين « **أنتف** » من الأسرة الحادية عشرة يقول لنا : ـ

« قد كنت رجلا حارب القسوة وأمرت بتطبيق القانون بالعدل وكنت لطيفا مع متوثبى المزاج ، أفهم

قلوبهم ، واعرف الكلمات التى تجول بخاطرهم قبل ان يتفوهوا بها ، وكنت خادما للفقير ، ووالدا لليتيم ، وحاميا للضعيف ، وزوجا للأرملة ، وكنت أسعد من يشقى » .

ويفاخر احد الأمراء بقوله : « لم انتهك حرمة بنات احد من الناس ، ولم تكن عندى أرملة حزينة ، ولم أنزع ملكية أرض احد الفلاحين ، وما كان هناك رجل تعيس بين رجالى ، وما كان هناك جائع واحد فى عهدى » .

● ونصح « بتاح حتب » حكيم الدولة القديمة المشهور ابنه قائلا :

ـ « لا تجعل الناس تخافك ، وعاملهم بالرفق واللين » .

ـ وهو الذى ينفر من غرور العلم قائلا : « لا يداخلنك الغرور بسبب علمك ولا تتعال وتنتفخ أوداجك لأنك رجل عالم استشر الجاهل كما تستشير العالم لانه ما من أحد يستطيع الوصول الى آخر حدود الفن ولايوجد الفنان الذى يبلغ الكمال فى اجادته ـ ان الحديث الممتع اشد ندرة من الحجر الأخضر اللون ومع ذلك فقد تجده لدى الطبقات الوضيعة » .

ـ الالتزام بالحق ولو على نفسك : فيقول

« اذا كنت زعيما يحكم الناس فلا تسع الا وراء

كل ما اكتملت محاسنه حتى تظل صفاتك الخلقية دون ثغرة فيها ما أعظم الحق فان قيمته خالدة ولم ينل منها احد من أيام الآلهة ، ولكن الذى يعتدى على ما يأمر به يحل به العقاب والحق هو الطريق السوى امام الضال ، ولم يحدث أبدا أن عرف عن عمل السوء انه أوصل صاحبه سالما الى مأمنه » .

● ويقول الى رئيس ديوان المظالم :

« اذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكاواهم فكن رحيما عندما نستمع الى الشاكى لا تعامله الا بالحسنى حتى يفرغ مما فى نفسه وينتهى من قول ما أتى ليقوله لك . ان الشاكى يعطى أهمية لاراحة ذهنه . باسماع شكواه أكثر من تحقيق ما أتى لأجله .

أما ذلك الذى ينهر صاحب الشكوى فان الناس يقولون عنه .. لماذا تجاهلها وايم الحق ؟ .. ان ما يرجوه الناس منه لا يتحقق منه شيء » .. ان رفقك بالناس عند اصغائك للشكوى يفرح قلوبهم » .

ـ هكذا كان ديوان المظالم وشكاية المظلوم .

● طاعة الوالدين فيقول :

« ما أجمل ان يصغى الابن عندما يتكلم أبوه فسيطول عمره من جراء ذلك ، ان من يسمع يظل محبوبا من الله ، ولكن الذى لا يسمع مكروه من الآلهة والقلب

هو الذى يرشد صاحبه فيجعل منه شخصا يســـمع او شخصا لا يسمع ، فقلب الانسان هو حياته وســـعادته وصحته ، ما أجمل أن يستمع الابن الى أبيه » ٠

● عاق الوالدين : ويرسم عقاب عاق الوالدين قائلا :

« أما الغبى الذى لا يسمع لوالديه نصحا ولا كلاما فلن يلقى نجاحا فهو ينظر الى العلم كما لو كان جهلا ، والى الخير كمـا لو كان شرا ويجلب على نفســـه اللوم فى كل يوم لأنه يفعل كل ما هو مكروه من الناس ، ويعيش على ما يسبب الموت للناس ـ ان قال السوء فهو طعام فى فمه وسيعرف الحكام خلقه وسيموت وهو حى فى كل يوم ٠٠ وسيتجنبه الناس لكثرة مساوئه التى تتكدس فوقه من يوم الى يوم » ٠

● وهناك نصائح موجهة الى جمنيكاى :

وهى بردية من انشاء الدولة الوسطى ولكن كاتبها نسبها الى الدولة القديمة ، وهذا النص الذى بين أيدينا مكتوب بلغة الدولة الوســطى (١) ويجمع الجزء المحفوظ

---

(١) هذه البردية ضمن مجموعة من مجموعه برديات (بريس) فى متحف اللوفر بباريس وهى المجموعة التى تحوى بردية نصائح بتاح حتب ، وترجمتها منشورة فى أكثر كتب الأدب وآخر ترجمة لها هى ترجمة جاردنر فى JEA, 32

وهناك تعقيب فدرن فى المجلة ذاتها Fdeern, JEA, 35.

من هذه البردية بين بعض النصائح الأخلاقية وبين آداب السلوك والذوق فمثلا نقرأ منها :

● اياك والتفاخر :

«لا تتفاخر بقوتك بين اقرانك فى السن وكن على حذر من كل انسان حتى من نفسك ان الانسان لا يدرى ماذا سيحدث أو ما الذى سيفعله الله عندما ينزل عقابه » .

● الحض علَى عمل الخير :

من النصائح الموجهة الى مريكارع ويحض فيها ابنه على عمل الخير (١)

« هدىء من روع الباكى ولا تظلم الأرملة ولا تحرم انسانا من ثروة أبيه ولا تطرد موظفا من عمله وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم لا تقتل فان ذلك لن يكون ذا فائدة لك بل عاقب بالضرب والحبس فان ذلك يقيم دعائم هذه البلاد ، اللهم الا من يثور عليك وتتضح لك مقاصده

---

(١) وهناك ترجمات كثيرة لها من أهمها ترجمه جاردنر
Gardiner JEA, I 1941, p. 20-36.
ـ وترجمة ارمان فى كتابه عن أدب المصريين القدماء .
ـ مقال الأستاذ شارف
A. Scherff, Der Histgrische Absehuitt der lehre fur Nonig, Merikare.
(SWBA, 1936, Heft 8.)

فان الله يعلم خائنة القلب . والله هو الذى يعاقب أخطاءه بدمه .. لا تقتل رجلا اذا كنت تعرف جميل مزاياه » .

● ويخاطب الملك « خيتى » ابنه مسديا اليه النصيحة : « لا تجعل عقيدتك فى طول الحياة الدنيا .. ولا تغتربها ، فان وقت الحياة الدنيا قصير كساعة واحدة على الأرض ، ولا يبقى للانسان فى آخرته الا عمله فهو كالكنز الثمين .. وحب الناس ، وواس الحزين ، وارع الأرملة . واذا عاقبت ، فراع العدل .. لا تقتل ، ولا تظلم الناس فانهم عبيد الله يستمع لبكائهم » .

ـ وها هو أحد نبلاء الأمة « أمينى » ـ الأسرة ١٢ ـ يقول لنا :

« انى أعطيت الأرملة كما أعطيت المتزوجة ، وما كنت افرق بين كبير وصغير غنى وفقير » .

ـ وهذا مهندس كبير ورئيس عمال يقول : « شغلت كل عمالى برفق وما ظلمتهم أو أهنتهم » .

ـ وها هى بعض نصائحهم التى تحض على الشجاعة وكرم الأخلاق وحسن الطوية والمعاملة :

يذهب الشر بالخير

فم الانسان ينجيه

أعطف على من هو أقل منك

لا تقل الكذب

العمل باق الى الأبد

اصنع طيبا ٠

خير للانسان ان يبقى سره في بطنه

لا تجعل الطمع رائدك فى جمع الثروة

خير للانســـان أن يعيش على خبز وماء مع راحة الضمير من أن يعيش على لحوم وهو منغص البال ٠

لا تصاحب الشخص الطائش ٠

احترم نفسك أمام الناس ٠

لتكن شهرتك بين الناس فيما تقوم به من عمــل مجيد ٠

● واذا انتقلنا بك عزيزى القارىء الى عصر آخر ، هو عصر الدولة الحديثة واقتبسنا بعض فقرات من نصائح آنى الى ولده (١) ، ونعرف منها الشيء الكثير عن آداب الذوق والسلوك ٠ وما كان يراه المصريون فى ذلك العهد فى تكوين المجتمع وصلة الناس بعضهم ببعض فيقول :

- فى الحث على الزواج :

« اتخذ لك زوجة وأنت فى شبابك حتى تلد لك ابنا

---

(١) بردية « آنى » فى المتحف المصرى بالقاهرة (بولاق ٤) وهى من الأسرة (٢١ ، ٢٢) وهى مترجمة فى جميع المؤلفات الرئيسية عن الأدب المصرى القديم ٠

وانت شاب علمه ليصبح رجلا فما أسعد الشخص الذى يكثر اهله ويحييه الناس باحترام بسبب أولاده » ٠

- القناعة والتوجه الى الله :

« لا تكثر من الكلام والزم الصمت فتسعد ولا تكن ممن يحبون الخوض فى الحديث عن الناس انّ شر ما يحدث فى بيت الله هو احداث الضجة فصل بقلب يملؤه الحب ولا ترفع صوتك بكلماتك وسيجيب الله سؤالك ، ويتقبل قربانك » ٠

- الزجر والنهى عن الخمر :

« لا تؤذ نفسك بشرب الجعة انك اذا أردت الكلام فان ألفاظا أخرى تخرج من فمك واذا سقطت وكسر أحد أعضائك فلن يمد أحد يدا اليك ويصرخ أعز أصدقائك قائلا « احمونى من هذا الرجل عندما يشرب واذا ما حضر اليك شخص ليبحث عنك ويوجه اليك سؤلا يجدونك ملقى على الأرض كطفل صغير » ٠

- عامل زوجك بالحسنى :

« لا تكثر من اصدار الأوامر الى زوجتك فى منزلها اذا كنت تعلم انها سيدة صالحة لا تقل لها أين هو ؟ احضريه لنا ٠٠ لاحظهـا بعينيك والزم الصمت حتى تدرك جميل

مزاياها . يا لها من سعادة عندما تضم يدك الى يدها وكثير من الناس هنا لا يعرفون كيف حال الانسان دون حدوث الشقاق فى منزله ان كل رجل يستقر فى منزل يجب أن يجعل قلبه ثابتا غير متقلب .. فلا تجر وراء امراة اخرى ولا تجعلها تسرق قلبك .. » .

بتاح حتب .. وأقدم مصدر فى أدب العالم

تعد تعاليم « **بتاح حتب** » أقدم مصدر فى أدب العالم .. صور لنا الخلق المستقيم .. والواقع أن حكم « بتاح حتب » التى جاءت عن تجارب .. تلخص لنا كثيرا من الأدب الخلقى لهذا العصر وكما جاء فى مقدمة هذه التعاليم تجد أن الوزير المسن قد شعر بضعف الشيخوخة وطلب الى الملك أن يسمح له بتعليم ابنه (ابن الوزير) ليحل محله فى وظيفته . ولما قبل الملك ملتمس وزيره . أخذ الأخير يحذر ابنه بألا يسىء استعمال الحكمة التى سيلقنه اياها بل ينتهج سبيل التواضع فقال : «**لا تكونن متكبرا بسبب معرفتك ، ولا تثقن بأنك رجل عالم ، فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول اليها ، وليس هناك عالم يسيطر على فنه تماما . وان الكلام الحسن أنصع من الحجر الأخضر الكريم ومع ذلك فانك تجده مع الاماء اللائى على أحجار الطواحين .**

● ثم يأتى بعد ذلك اثنتان وأربعون فقرة فى نصائح مختلفة دون أى مجهـــود من المؤلف فى ترتيبها أو تنظيمها بل كتب كلا منها عفوا حسبما كان يحضر

ذهنه من تجارب الحياة ومسئوليتها · وسنكتفى هنا بذكر أهمها ··

معاملة الخطيب :

اذا وجدت خطيبا فى زمانه سليم العقل أمهر منك فاثن له ذراعك واحن له ظهرك · أما اذا تكلم هجرا فلا تقصرن حينئذ فى مقاومته حتى ينادى به الناس : انت انسان جاهل ·

ولكن اذا كان مماثلا لك فأظهر بصمتك أنك احسن منه اذا أخطأ فى الكلام وعندئذ سيمدحه السامعون ولكن اسمك سيعتبر حسنا بين العظماء » ·

اما اذا كان شخصا حقيرا ليس ندا لك فلا تغضبن عليه لأنك تعلم أنه تعس ·· احتقره وبذلك يؤنب نفسه ·· وانه لقبيح أن يضر الانسان شخصا محتقرا ·

● انك تفوز بالحياة بمساعدة الحق والصدق :

اذا كنت قائدا وتصدر الأوامر للجم الغفير فاسع وراء كل كمال حتى لا يكون نقص فى طبيعتك ان الصدق جميل وقيمته خالدة وانه لم يتزحزح منذ يوم خالقه ، والذى يتخطى نواميسه يعاقب · وهو أمام الضال كالطريق المستقيم · ان الخطأ لم يقد مقترفه الى الشاطىء ·· حقيقة أن الشر يكسب الثروة ولكن قوة الصدق فى أنه يمكث ·· والرجل المستقيم يقول انه منح والدى » ·

● أدب السلوك فى الضيافة :

« اذا اتفق أنك كنت من بين الجالسين على مائدة من هو أكبر منك مقاما فخذ ما يقدم لك حينما يوضع أمامك ولا تنظرن الى ما هو موضـوع امامه بل انظر الى ما هـو موضوع أمامك .. ولا تصوبن نظرات كثيرة اليه لأن ذلك مما تشمئز منه النفس اذا أحفظها الانسان ، وانظر بمحياك الى أسفل الى أن يحييك وتكلم فقط بعد أن يرحب بك واضحك حينما يضحك فان ذلك يدخل السرور على قلبه وما تفعله يكون مقبولا لأن الانسان لا يعلم ما فى القلب .

والرجل العظيم يتوقف عزمه على ارادة نفسه حينما يجلس أمام الطعام والرجل العظيم يعطى لمن يجاوره .. والخبز يؤكل بأمر الله » .

● كن أمينا فى تبليغ الرسائل :

« اذا كنت فردا ممن يوثق بهم وأرسلك رجل عظيم الى آخر ، فاعمل بنصح فى الأمر حينما يرسلك فيجب عليك أن تبلغ الرسالة كما قالها ، ولا تكونن كتوما فيما يمكن أن يقال لك واحذر النسيان . واحرص على الصدق ولا تتخطه حتى لو كنت مخبرا شيئا لا يسر . واحـذر أن تقبح الكلام ، فربما يصـير العظيم محتقرا عند آخـر بوساطة القاء الكلام كالعامة . « وسيصبح وسيراه العظم أمر تكرهه النفس » .

إذا حرثت وكان هناك نبات فى الحقل وأعطاك الله الخير العميم فلا تشبعن فمك بجانب أقاربك » .

● لا تصغرن من شان أولئك الذين ارتقوا فى الدنيا :

« اذا كنت رجلا متواضعا ، وكنت فى ركاب رجل ذائع الصيت من الذين على وئام مع الاله (الملك) فتجاهل ماضى وضاعته ، ولا تحقدن عليه . بما تعرفه عنه فيما سلف ، واحترمه على حسب مكانته التى أصبح فيها لأن الغنى لا يأتى وحده » .

● خصص لنفسك وقتا لترويح نفسك :

« اتبع روحك ما دمت حيا ، ولا تفعلن أكثر مما قيل لك . ولا تنقص من الوقت الذى تتبع فيه قلبك لأنه مكروه عند النفس اذا انتقص وقتها العناية الزائفة بمنزلك .

● معاملة ابنك :

« اذا كنت محترقا ، وكان لك بيت ، وولد لك ابن فاذا عمل صالحا ، ومال الى طبعك ، وسمع تعاليمك ، وكانت خططه ذات نتيجة حسنة فى بيتك ، ومعتنيا بمالك كما يجب فابحث له عن كل شيء حسن . فهو ابنك الذى ولدته لك « كاك » (نفسك) ولا تنفرن قلبك منه .

ولكن اذا عمل سوءا ، وأعرض عن خططك (نصائحك) ولم يعمل حسب تعاليمك ، وصارت خططه لا قيمة لها فى

بينك ، وتحدى كل ما تقوله ٠٠ عندئذ أقصه لأنه ليس ٠٠ ولم يولد لك ٠٠

● السلوك فى بهو العظماء :

« اذا وقفت أو قعدت فى البهو ، فانتظر بهدوء حتى يأتى دورك ٠ واصغ الى الخادم الذى يعلن ، ومن نودى فله مكان متسع ٠ والبهو له نظامه ، وكل ترتيب فيه على حسب خيط القياس ٠ وان الاله هو الذى يعين المكان الأول ــ ولا يصل الانسان الى شىء بالمرفق ٠

كن حازما فى حديثك مع الناس ٠

أعلن عملك بدون خفاء ، وتقدم بأفكارك فى مجلس سيدك ٠٠ ويجب على الانسان أن يقول بوضوح ما يعرفه وما لا يعرفه ٠٠ فهو صامت ويقول : « لقد تكلمت » ٠

● معاملة أصحاب المظالم :

اذا كنت ممن يقدم لهم الشكاوى ٠ فكن شفيقا حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسىء معاملته الى أن يغسل بطنه ٠ والى أن يقول ما قد جاء من أجله ، وان المتظلم يحب كثيرا أن يهز الانسان رأسه الى كلامه الى أن ينتهى مما جاء من أجله ٠٠

وأن مجلسا حسنا يسر القلب ٠

ولكن من يمثل القسوة نحو المتظلم ، فان الناس يقولون « لأى سبب يفعل هو كذلك ؟ » ٠٠

● التحذير من النساء :

« اذا أردت أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله سيدا او اخا او صاحبا ، فاحذر القرب من النساء ، فان المكان الذى هن فيه ليس بالحسن ٠

ومن أجل هذا يذهب الف الى الهلاك : فان الرجال يصيرون مجانين باعضائهن المبهرجة وبعد ذلك تصير مثل « حجر هرست » شيئا تافها مثل الحلم ، والموت يأتى فى النهاية » ٠

● التحذير من الشراهة :

« اذا أردت أن يكون خلقك محمودا وأن تحرر نفسك مما هو قبيح ، فاحذر الشراهة فانها مرض مملوء بالداء ولا يشفى ٠ والصداقة معها مستحيلة ، فانها تجعل الصديق العذب مرا ، وتقصى ذا الثقة عن سيده وتجعل كلا من الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الزوج عن زوجته ٠ وهى حزمة من كل أنواع الشر وحقيبة مملوءة من كل شىء مرذول ٠ وان الرجل الذى يتبع طريقة حقة فى سلوكه ويسير على الصراط السوى ، يعيش طويلا ويكسب الغنى بذلك ، ولكن الشره لا قبر له ٠

لا تكونن شرها فى القسمة ٠ ولا تكونن ملحا الا فى حقك ، ولا تطمعن فى مال أقاربك ، فان التماس التواضع يجدى أكثر من القوة ٠٠ فان القليل الذى اختلس منه ٠٠ يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين ٠

● فائدة الزواج :

« اذا كنت رجلا ذا مكانة ، فاسس لنفسك بيتا واحبب زوجك فى البيت كما يجب . وعليك ان تملأ بطنها وتستر ظهرها ، والعطور هى دواء اعضائها . واشرح قلبها طالما عاشت فانها حقل مثمر لربها » .

● كن كريما مع اصدقائك :

« اشبع اصدقاءك بما جد لك كانسان نال الحظوة عند الاله (الملك) ومن الحزم ان تفعل ذلك اذ ليس هناك انسان يعرف مصيره اذا فكر فى الغد . فاذا اصابت القرين مصيبة فان الاصدقاء هم الذين لا يفتئون .. يقولون مرحبا له .. فعليك أن تستبقي ودهم لوقت السخط الذي يهدد الانسان » .

● كن حذرا فى الكلام :

« اذا كنت رجلا ذا مقام سام يجلس فى محفل سيده فوطن عقلك على ما هو حسن .. الزم الصمت فان هذا احسن من ازهار « تقتف » . وتكلم فقط اذا كنت تعلم بانك ستحل المعضلات وان الذى يتكلم فى المحفل لفنان فى الكلام . والكلام اصعب من اى حرفة اخرى .

● لا تثق بالحظ :

« اذا اصبحت عظيما بعد ان كنت صغير القدرة وصرت

صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجا فى المدينة التى تعرفها (موطنك القديم) فلا تنسين كيف كانت حالتك فى الزمن الماضى • لا تثقن بثروتك التى أتت اليك منحة من الله ، فانك لست بأحسن من غيرها من أقرانك الذين حدث لهم ذلك الفقر » •

● احترام الرؤساء :

« أمن ظهرك لمن هو أعلى منك وبذلك يبقى بيتك بخيره ويدفع لك مرتبك فى حينه • ومقاومتك من فى يده السلطة قبيح • والانسان يعيش ما دام متساهلا ••

● الحزم فى المصاحبة :

« اذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته •• اقترب منه ، وكن معه منفردا •• وامتحن قلبه بالمحادثة فاذا افشى شيئا قد رآه ، وأتى أمرا يجعلك تخجل له فعندئذ احذر حتى فى أن تجاوبه •• كن صبوح الوجه مادمت حيا » •

● واهتم كذلك المصرى القديم بالأشياء الدنيوية التى تحث السامعين على التمتع بأكثر ما يمكن مدة حياتهم • والدولة الحديثة التى قد حفظت لنا تلك الأشياء عرفت أنها مأخوذة من بيت الملك « **انتف** » أى من قبره ، وقد كتبت أمام العواد أيضا وتوجد صورة كاملة منها بين أغانى الدولة الحديثة : ـ

« ما أسعد هذا الأمير الطيب ، والقدر الجميل قد وقع ، تذهب أجسام وتبقى أخرى ‥ منذ عهد الذين كانوا من قبلنا • والملوك الذين وجدوا فى الزمن الغابر راقدون فى اهرامهم ‥ والأشراف قد دفنوا فى أهراماتهم كذلك ‥ والذين بنوا بيوتا قد أصبحت مساكنهم ‥ كأن لم تكن • فماذا جرى لهم ؟ •

لقد سمعت أحاديث « امحوتب » « وحاردرف » اللذين يتحدث بكلماتهما فى كل مكان ‥ ما هى مساكنهما الآن ؟ جدرانها دمرت ومساكنهما لا وجود لها كأن لم تكن قط •

ولم يأت أحد من هناك ليحدثنا كيف حال من قبلنا ويخبرنا عما يحتاجون اليه لتطمئن قلوبنا قبل أن نذهب نحن كذلك الى المكان الذى ذهبوا اليه • كن فرحا حتى تجعل قلبك ينسى أن القوم سيحتفلون يوما ما بموتك فمتع نفسك مادمت حيا • وضع العطر على رأسك ، والبس الكتان الجميل ، وضمخ نفسك بالروائح الزكية المقدسة •

وزد كثيرا فى المسرات التى تملكها ولا تجعلن قلبك يكتئب • اتبع رغباتك وافعل الخير لنفسك • افعل ما تميل اليه على الأرض لا تغضبن قلبك حتى يأتى يوم نعيك • ومع ذلك فان صاحب « القلب الساكن « لا يسمع عويلهم وان الصياح لا ينجى انسانا من العالم السفلى •

● ثم يقول فى النهاية :

« اقض اليوم فى سعادة ‥ ولا تجهدن نفسك ‥

فان احدا لم يأخذ متاعه معه • أصغ •• وليس فى قدرة انسان قد ولى أن يعود ثانية » •

● وهناك تعاليم الملك خيتى لابنه مرى كارع :

وقد اقتبسنا منها بعض المقتطفات وتمتاز هذه الورقة بما جاء فيها •• يكاد يكون معدوما فى كل التعاليم الأخرى• ومن الحكم الرائعة التى جاءت فيها : ـ

● قيمة حسن الكلام والحكمة :

« كن حاذقا فى صناعة الكلام ، لأن قوة الرجل لسانه •• والكلام أقوى من أية محاربة •• والحاذق لا يعارضه أحد • والذين يعرفون أنه عاقل لا يهاجمونه • ولا يلحقه مكروه أينما كان • ويأتى اليه الصدق بعد أن اختمر تماما ، كما كان يتكلم به الأجداد •

● الله وبنو الانسان :

« ان الفرد الذى يحمل فضيلة الحق فى قلبه أحب الى الله من ثور الظالم ، اعمل شيئا لله حتى يعمل لك بالمثل • ان الله عليم بمن يعمل له شيئا » •

● وقد ختم هذا الملك الحكيم كلامه بتأملات تدل على اعتقاده بالوجدانية ووصف خالقه المسيطر على العالم •• نذكرها فيما يلى : ـ

« ان الله قد عني عنـــاية حسنة برعيته فقد خلق السموات والأرض ‥ طبق رغبتهم ‥ وخفف الظما بالماء ‥ وخلق لهم الهواء حتى تحيا به انوفهم ‥ وهم صوره التي خرجت من اعضائه ، وهو يرتفع الى السماء ، وخلق النبات والماشية والطيور والأسماك غذاء لهم وهو كذلك يعاقب فذبح أعداءه ‥ بسبب ما دبروه حينما عصوا امره ٠

ويضع النور حسب رغبتهم كذلك يجعلهم ينامون ويسمع عندما يبكون وجعل لهم منفذا من الفرج » ٠

سلوك مصري ‥ وروحه :

● هذا سلوك شعرى ‥ بين انسان قد سئم الحياة وبين روحــه :

(ورقة محفوظة بمتحف برلين) تعد محتويات هذه الورقة أقدم وثيقة فى متناولنا عن موضوع **روحى فى تاريخ العالم** وهى تشبه « **كتاب يعقوب** » الذى كتب بعدها بنحو ١٥٠٠ سنة ٠ ولا نزاع فى أن اختيار المؤلف لهذا الموضوع كان وفقا لحالة الاضطراب والفقر والعوز التى كانت تسود البلاد فى هذا العهد المظلم ٠

ـ ومما يؤسف له أن مقدمة هــذا الكتاب التى ذكرت فيها أسباب هذه الثورة الروحية قد فقدت ولكن ما بقى لنا من الوثيقة يمكننا من أن نتلمس منها تلك الأسباب ٠

— والواقع أن هذا البائس كان رجلا رقيق الروح ولكنه رغم ذلك قد داهمه **الحظ العاثر** اذ أصبح مريضا وابتعد عنه أصدقاؤه ، وحتى اخوته الذين كان من واجبهم أن يواسوه فى مرضه ، ولم يجد بجانبه خلا وفيا .

وفى وسط تلك المصاعب سرق جيرانه متاعه ، وما عمله من صالح الأمس قد نسى اليوم ، ورغم أنه كان صاحب حكمة فانه قد أقصى عندما كان يريد أن يترافع عن حقه ، وقد حكم عليه ظلما ، واسمه الذى كان يجب أن يكون موضع الاحترام ، أصبح نتنا فى أنوف الناس » .

● وفى هذا الوقت العصيب عندما كان يسبح فى الظلام واليأس صمم على أن ينتحر فتراه وهو واقف على حافة القبر على حين أن زوجه كانت تفر من الظلمة فى فزع وتأبى أن تتبعه ، وبعد ذلك تجد فى الورقة أن هذا التعيس يكلم نفسه أى يتحدث الى روحه وكأنه يتحدث الى شخص آخر .

وقد كان أول سبب فى عدم اطاعة روحه واتباعها اياه الى الآخرة خوفها من ألا تجد طعاما فى القبر بعد الموت ، وقد يظهر ذلك غريبا جدا لأول وهلة من رجل يشك كثيرا فى مثل هذه التحضيرات التى كانت تجهز للمتوفى فى آخرته ، ولعل هذا التعليل حيلة أدبية يريد الكاتب أن يتخلص منها الى عدم فائدة هذه المعتقدات الجنازية .

«والظاهر أن الروح نفسهـا قد اقترحت عليه الموت حرقا ولكنها فرت بنفسها من هذه النهاية الفظيعة · ولما لم يكن من بين الأحياء لهذا التعس صديق أو قريب يقف بجانبه ، ويقوم بالاحتفالات الجنازية ، **أخذ يستحلف** روحه أن تقوم له بكل هذا ، ولكن الروح على أية حال أبت الموت فى أى شكل وأخذت تصف فظائع القبر : ـ

· ثم فتحت روحى فمها وأجابت عما قلته : اذا تذكرت الدفن ، فانه حزن ، وذكراه تثير الدمع · وتفعم القلب حزنا فهو ينتزع الرجل من بيته ويلقى به فى الأرض ·· ولن تخرج قط ثانية لترى الشمس ·· على أن هؤلاء الذين بنوا بالجرانيت الأحمر قبورهم ·· وأقاموا حجر دفن فى الهرم ·· وهـذا الجميلون الذى شيدوه وهذا المبنى الجميل ·· وأصبحوا مثل الآلهة ·· ترى موائد قربانهم هناك خاوية كموائد أولئك المتعبين الذين يموتون على الجسر من غير خلف لهم ، فيبتلع الفيضان ناحية من أجسـامهم وتلفحهم حرارة الشمس كذلك ·· ويلتهمهم سمك شاطىء النهر ويعبث بهم · أصـغ الى ·· انه لجدير بالناس أن يصغوا · **تمتع بيوم السرور وانس الهموم** ·

● وهذا هو جواب الروح عندما تمثل أمامها منظر الموت ولكن البائس قد أكـد أن « من كان فى هـرمه ومن وقف بجوار سرير موته ، أحد الأحياء ، يكون سعيدا ، وقد سعى أن تقوم روحه بدفنه وبتقديم

القرابين ، وتقف عند القبر يوم الدفن ، لتجهز السرير في الجبانة » ٠

ولكن كان منله مثل ضارب العود في الأغنية فقد تذكرت روحه ٠٠ قبور العظماء التي خربت ، وموائد قرباتهم التي أصبحت خاوية كموائد العبيد التعسين الذين ماتوا كالذباب في وسط الأعمال العامة ، على جسور الري وقد أصبحت أجسامهم عرضة للحر اللافح ٠٠ والأسماك الملتهمة في انتظار الدفن ٠ فلم يكن هناك الا حل واحد لكل ذلك : « أن يعيش الانسان جاعلا الحزن نسيا منسيا ٠٠ وينغمس بكليته في السرور » ٠

● ويلاحظ أنه الى هذا الحد لم تختلف هذه المناظرة التي تنحصر كل فلسفتها في أن «يأكل الانسان ويشرب ويكون مرحا ٠٠ لأنه سيموت غدا»٠٠الا أنه يبرهن على أن الحياة رغم أنها ليست فرصة للسرور ، الا أنها عبء لا يمكن احتماله أكثر من الموت ٠٠ وقد أوضح هذا في أربع مقطوعات شعرية خاطب بها هذا التعيس روحه**وهذه المقطوعات تؤلف الجزء الثاني** من هذه الوثيقة ولحسن الحظ نجد معظمها مفهوما ٠

● **المقطوعة الأولى :** تصف لنا مقت العالم بغير حق لاسم هذا التعيس ٠

● **المقطوعة الثانية :** نجد في هذا الشعر أن ذلك الشقي

ينتقل من نفسه ليصف هؤلاء الذين كانوا سببا فى تعسه ، فينظر الى مجتمع عصره فلا يجد فيه الا ٠٠ الغش والخيانة والظلم وعدم الوفاء حتى بين أقاربه ٠

- **المقطوعة الثالثة :** أنشودة فى مدح الموت ٠ على أننا نجد فيها تأملات فى ميزات الموت كما سنجد بعد ذلك بنحو ١٥٠٠ سنة فيما ذكره **أفلاطون** عن أستاذه **سقراط** ، ولكنها أول شكوى لرجل حاق به الظلم ومن المدهش أنها لا تحتوى على أفكار عن الاله بل تنحصر فى خلاصة من آلام الماضى التى لا تحتمل ٠٠ ولا ينظر قط للمستقبل ٠٠ هذا من مميزات العصر الذى عاش فيه ٠٠ ولا نزاع فى أن الصورة التى رسمها هذا الكاتب قد أخذت من الحياة اليومية فى وادى النيل فى تلك الفترة ٠

- **المقطوعة الرابعة :** يختتم هذا البائس كلامه بالالتجاء الى العدالة فى الآخرة وبذلك قد جعل من الموت مدخلا الى قاعة المحاكمة ٠٠ وكان عليه أن يذهب اليها بأسرع ما يمكن ٠

« اسمى ممقوت ٠٠ »

انظر ان اسمى ممقوت ٠٠ أكثر من رائحة اللحم النتن ٠ فى أيام الصيف عندما تكون السماء حارة ٠

انظر ان اسمى ممقوت ٠٠ أكثر مما يمقت صيد السمك ٠ فى يوم صيد تكون السماء فيه حارة ٠

انظر ان اسمي ممقوت ٠٠ أكثر من رائحة الطيور ٠
وأكثر من تل من الصفصاف ملء بالأوز ٠

انظر ان اسمي ممقوت ، أكثر من رائحة السماك ٠
وأكثر من شواطيء المستنقعات عندما يصاد عليها ٠

انظر ان اسمي ممقوت ٠٠ أكثر من رائحة التماسيح ٠
وأكثر من الجلوس ٠٠ حيث التماسيح ٠

انظر ان اسمي ممقوت ٠ أكثر من زوجة ، عندما
يقال عنها الأكاذيب لزوجها ٠

انظر ان اسمي ممقوت ، أكثر من حب شديد ، قد
قيل عنه انه ٠٠ لمن يكرهه ٠

انظر ان اسمي ممقوت ، أكثر من ٠٠ مدينة ، أكثر
من ثائر ولى الأدبار ٠

لمن أتكلم اليوم ٠٠

لمن أتكلم اليوم ؟ : الأخوات شر ٠ وأصـــدقاء اليوم ليسوا
جديرين بالحب ٠

لمن أتكلم اليوم ؟ : الناس شرهون ٠ وكل انسان يغتال متاع
جاره ٠

لمن أتكلم اليوم ؟ اللطف قد باد ، والوقاحة صارت فى كل
القوم ٠

لمن أتكلم اليوم ؟ : فان من كان ذا وجه باسم أصبح خبيثا
وأصبح الخير ممقوتا فى كل مكان .

لمن أتكلم اليوم ؟ : فان الذى يستفز غضب الرجل الطيب
باعماله الشريرة يسر منه الناس ويضحكون كلما
كانت خطيئته شنيعة .

لمن أتكلم اليوم ؟ : الناس يسرقون وكل انسان يغتصب
متاع جاره

لمن أتكلم اليوم ؟ : فقد أصبح الرجل المريض هو الصاحب
الذى يوثق به ، أما الأخ الذى يعيش معه فقد صار
العدو .

لمن أتكلم اليوم ؟ : حيث لا يذكر أحد الماضى ، ولن يفعل
أحد الخير لمن يسديه اليه .

لمن أتكلم اليوم ؟ : الأخوات شر ، والانسان صار يعامل
كعدو رغم صدق ميوله .

لمن أتكلم اليوم ؟ : اذ لا نرى الوجوه وأصبح كل انسان
يلقى بوجهه في الأرض اعراضا عن اخوانه .

لمن أتكلم اليوم ؟ : والقلوب شرهة . والرجل الذى يعتمد
عليه القوم لا قلب له .

لمن أتكلم اليوم ؟ : فالصديق الذى يعتمد عليه معدوم ،
واصبح يعامل الانسان كأنه فرد مجهول ٠ رغم أنه
قد جعل نفسه معروفا ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ : اذ لا يوجد أحد فى سلام ، والذى ذهب
منه لا وجود له !

لمن اتكلم اليوم ؟ : فانى مثقل بالشقاء وينقصنى خل وفى ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ : فان الخطيئة التى تصيب الأرض لا حد
لها ٠

الموت أمامى ٠٠

ان الموت أمامى اليوم ٠٠ كمثل المريض حينما يشفى
وكمثل الذى يمشى فى الخارج بعد المرض ٠

ان الموت أمامى اليوم ٠٠ كرائحة بخور المر ٠٠
وكمثل انسان يقعد تحت الشراع فى يوم شديد الريح ٠

ان الموت أمامى اليوم ٠ كرائحة زهرة السوسن
وكما يقعد الانسان على شاطىء السكر ٠

ان الموت أمامى اليوم ٠٠ كطريق معبد ٠ وكما يعود
الرجل من الحرب الى بيته ٠

ان الموت أمامى اليوم ٠٠ كرجل يتوق الى رؤية بيته
بعد أن قضى سنين عدة فى الأسر ٠

ماذا قالت روحى ..

ان الذى هنالك .. سيقبض على المذنب كاله حى .. ويوقع عقاب الاجرام على من اقترفه .

ان الذى هنالك .. سيقف فى سفينـــة الشمس ويجعل أحسن القرابين هناك تقدم للمعابد .

ان الذى هنالك .. سيكون رجـــلا عاقلا لم ينبذ مصليا « لرع » حينما يتكلم .

● **هذا ما قالته روحى لى** : اترك العـــويل ظهريا يا خلى ويا أخى ..

سأسكن هنا اذا كنت ترفض الغرب .. ولكن حينما تصل الى الغرب ويتحد جسمك مع الأرض فانى سأنزل عندئذ بعد أن تستريح .

.. دعنا اذا نسكن معا ..

سلوك جديد .. وأسلوب فى الشكاية

لدينا أربع نسخ من كتاب أطلق عليه علماء الآثار « شكاوى » الفلاح الفصيح ويرجع تاريخ كتابتها الى عهد الدولة الوسطى . وهذا الكتاب مثال للفصاحة . فتعابيره

غاية فى الرشاقة والبلاغة ، وموضوعه يتلخص فى شخص فصيح ألقى تسع خطب فى ثوب شكاوى تعد من أبدع وأروع ما قيل بسبب حادث ظلم وقع له ٠

ـ ومحور هذه الخطب مدح العدل وذم دناءة الموظفين
ولكن التعابير التى كانت تتدفق فى فم الخطيب جعلتنا نكاد ننسى الغرض الذى قيلت من أجله ٠٠ ولا شك أن هذه الخطب قد تظهر للقارىء الحديث مملة متشابهة ، غير أنها ربما كانت فى الحقيقة حسنة الوقع فى أذن المصرى ، يحس بما فيها من رشاقة وحذق مما يتعسر علينا ادراكه ، وبخاصة اذا عرف أننا لم نفهم هذا الكتاب الا بشكل غير متكامل ٠

● وقد وقعت حوادث هذه القصة فى عهد الملك « نب كاورع » أحد ملوك « هراكليوبوليس » (اهناسيا المدينة الحالية) ويحمل لقب « حنيت » وقد حكم البلاد فى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، وتتلخص القصة فى أن فلاحا من مقاطعة الفيوم من اقليم وادى النطرون كان يسكن ببلدة تسمى حقل النطرون ٠ واتفق أن هذا الفلاح وجد مخازن غلاله تكاد تكون خاوية ، فحمل حميره محصولات قريته واتجه نحو اهناسيا طلبا للمبادلة بالغلال وقد كان عليه أن يمر فى طريقه الى العاصمة بمنزل « تحوتى نخت » أحد موظفى « رنزى » الذى كان المدير العظيم لبيت الملك ٠

وقد راقت هذه الحمير فى عين « تحوتى نخت » فدبر حيلة للاستيلاء عليها عنوة هو وأتباعه ، فاتخذ حيلة حينما أكل أحد الحمير بضع سيقان من القمح كانت هذه سببا لضرب الفلاح ضربا مبرحا واغتصاب حميره ، وقد مكث بباب « تحوتى نحت » أربعة أيام يرجو فيها ارجاع حميره ولكن بدون جدوى ٠

ولما علم هذا الفلاح بشهرة عدالة « رنزى » المدير العظيم لبيت الملك ٠ ولى وجهه شطر المدينة ليشكو اليه ما حاق به ولحسن حظ الفلاح صادف المدير العظيم لبيت الملك وهو يتأهب لركوب قاربه ، فأخذ يقص عليه ما أصابه بلغة فصيحة مما استرعى سمعه فأرسل أحد خدمه ليسمع قصة الفلاح ولما عاد وأخبر « رنزى » بسرقـــة « تحوتى نخت » للحمير ، عرض المدير العظيم لبيت الملك الموضوع على زملائه من الموظفين وقد حذق المؤلف فى جعل جوابهم يتفق مع ما يحدث فى مثل هذه الأحوال ، وهو تحامـل الموظف على الفقير فى الدوائر الحكومية مهما كان الحق فى جانبه ، ولذلك نرى أن زملاء المدير الكبير قد انحازوا الى جانب « تحوتى نخت » وأجابوا « رنزى » بفتور عظيم بأن المسألة ربما كانت تنحصر فى موضوع فلاح قد دفـــع ما عليه من الضرائب خطـأ لرئيس غـير رئيســـه ، وأن « تحوتى نخت » قد استولى بحق على ما يستحقـــه من الضرائب ٠ ثم تساءلوا فى غضب : هل سيعاقب « تحوتى

نخت » من أجل قليل من النطرون ، وقليل من الملح ؟ فليطلب اليه أن يعيدها وهو لا يتأخر ٠

٠٠ ويلاحظ أنه من خصائص هذه الطبقة أنهم يتجاهلون الحمير التى اغتصبت والتى يسبب ضياعها موت هذا الفلاح وأسرته جوعا ٠ وعندما سمع الفلاح بذلك تقدم الى « رنزى » وأخذ يقص عليه شكايته بفصاحة ولباقة :

اجعل اسمك ٠٠ فوق كل قانون ٠٠

عندئذ أتى الفلاح ليقدم مظلمته الى مدير البيت العظيم « رنزى » ابن « مرو » فقال : « يا مدير البيت العظيم ، يا سيدى ، يا عظيم العظماء ، يا حاكما على ما قد فنى وما لم يفن ٠٠ واذا ذهبت الى بحر العدل ٠٠ فان الهواء لن يمزق شراعك وقاربك لن يتباطأ ولن يحدث لساريتك أى ضرر ، ومرساك لن يكسر ، ولن يغوص (قاربك) حينما ترسو على الأرض ٠ ولن يحملك التيار بعيدا ، ولن تذوق أضرار النهر ، ولن ترى وجها مرتاعا ٠٠ والسمك القفاز سيأتى اليك وستصل يدك الى أسمن طائر ٠٠

انك أب لليتيم ، وزوج للأرملة ، وأخ المهجورة ٠ ومئزر لذلك الذى لا أم له ٠٠ دعنى أجعل اسمك فى هذه الأرض فوق كل قانون عادل ، فتكون حاكما خلوا من الشره

وشريفا بعيدا عن الدنايا ومهلكا للكذب ومقيما للعدل ، رجلا يلبى نداء المستغيث ، انى اتكلم ٠٠ فهـــل لك أن تسمع ، اقم العدل انت يا ايها الممدوح الذى يمدح من الممدوحين ٠ اكشف عنى الضر ٠٠ أنظر الى ٠٠ ان حملى ثقيل ٠٠ « اختبرنى انى ضعت » ٠

الزم الصمت ٠٠ واعطه لقمة العيش .٠

وقد اتفق أن هذا الفلاح قد ألقى هذه الخطبة فى عهد الملك « نب‌كاورع » ، وقد ذهب المدير العظيم للبيت « رنزى » بن (مرو) أمام جلالته وقال : « سيدى لقد عثرت على أحد هؤلاء الفلاحين ، وفى الحق أنه فصيح ، وهو رجل قد سرق متاعه ، وانظر انه قد حضر ليتظلم لى من أجل ذلك » ٠

عندئذ قال جلالته : « بقدر ما تحب أن ترانى فى صحة ٠٠ دعه يتباطأ هنا دون أن تجيب عن أى شىء قد يقوله ٠٠ ولأجل أن تجعله يستمر فى الكلام ٠٠ الزم الصمت ٠٠ ثم أمر بأن يؤتى لنا بذلـــك مكتوبا حتى نسمعه ولكن مد زوجتـه وأطفاله بالمئونة ٠٠ ثم انظر أن يأتى أحد الفلاحين الى مصر فهذا يسبب فقر بيته .٠ وزيادة على ذلك من هذا الفلاح نفسه ٠ فلا بد من أن تأمر باعطائه الطعام دون أن يعلم أنك أنت الذى أعطيته اياه » ٠

٠٠ وعلى ذلك أعطى عشرة أرغفة كل يوم ٠ وقــد

تعود رب البيت العظيم « رنزى » بن مرو أنه يعطى تلك الأشياء لأحد اصدقائه ٠٠ وكان هذا يعطيها اياه ثم أن المدير العظيم للبيت « رنزى » بن مرو أرسل الى شيخ بلدة (سخت حموت) ليعطى زوجة ذلك الفلاح ثلاثة مكاييل من القمح كل يوم ٠

يا خيط الميزان ٠٠ لا تتذبذب ٠٠

هذا الفلاح قد أتى ليتظلم له مرة ثانية وقال : يا أيها المدير العظيم للبيت الملكى يا سيدى ٠٠ يا عظيم العظماء يا أغنى الأغنياء ٠٠ يا من عظماؤه لهم واحد أعظم منهم ٠٠ يا من أغنياؤه لهم واحد أغنى منهم ٠٠ أنت يا ساكن السماء ، ومثقال الميزان لا تتحول ، يا خيط الميزان لا تتذبذب ٠٠ ان السيد العظيم يأخذ مما ليس له بمالك وينهب واحد ٠ ان فى بيتك ، قدحا وثلاثة أرغفة وما الذى يمكن أن تصرفه لاطعام عملائك ٠٠ مع أن الانسان سيموت مع خدمه ؟

فهل ستكون رجلا مخلدا ؟

أليس من الخطأ ٠٠ ميزان يميل وثقل ينحرف ٠٠ ورجل مستقيم يصير معوجا ؟ تأمل ان العدل يفلت من تحتك ٠٠ وذلك لأنه أقصى عرفانه ٠٠ فالحكام يشاغبون ، وقاعدة الكلام تنحاز الى جانب ٠٠ والقضاة يتخاطفون

ما اغتصبه ؟ .. ومعنى ذلك انه محرف الكلام عن دقته يخرجه عن معناه ؟ .. فمانح النفس يتلاشى على الأرض .. وذلك الذي يأخذ راحته يجعل الناس يلهثون .. والبلدة فيضان لنفسها .. والمنصف مشاغب ، ..

● **ثم قال المدير العظيم للبيت « رنزى »** هل تعتقد في قلبك أن ممتلكاتك أمر أهم من أن يقصيك خادمي ؟!

قال الفلاح : ان كيال أكوام الغلال يعمل لمصلحته الشخصية .. وذلك الذي يجب عليه أن يقدم حسـابه تاما يجور على متاع غيره ، ذلك الذي يجب عليه أن يحكم بمقتضى القانون يأمر بالسرقـة .. فمن ذا الذي يكبح الباطل .. ؟ وذلك الذي يجب عليه أن يقضي على الفقر يعمل بالعكس .. ويسير الانسـان الى الأمام في الطريق المستقيم بوساطة منحنيات .. وآخر ينال الشهرة بالاضرار فهل تجد لنفسك هنا أي شيء ؟ .. ان اصلاح الخطـأ قصير ولكن الضرر طويل ! ..

والعمل الطيب يعود ثانيـة الى مكانه بالأمس .. والواقع أن الحكمة تقول :

« عامل الناس بما تحب أن تعامل به » .. وذلـك كشكر انسان على ما يعمله ، وكمنع شيء قبل تشكيله .. مع أن الأمر قد أعطى للصانع .

ـ **يتمنى الشر للأمير** : .. ليت لحظـة تجرى ..

فتجعل كرمك رأسا على عقب ، وتفتك بطيورك ٠٠ وتودى بدواجنك المائية ، فالمبصر قد غش بصره والمستمع قد صم ٠٠ وذلك الذى كان يجب أن يكـــون مرشـــدا أصبح مضللا ٠

لسان الرجل ٠٠ قد يكون سبب تلفه

٠٠ « تأمل انك قوى شـــديد البأس ٠٠ وقلبك مفترس ٠٠ وقد تخطتك الرحمة ٠٠ ما مقدار حزن الرجل الفقير الذى قضى عليه بجوارك ٠٠ ومثلك كرسول المتمساح بل انك تفوق « ربة الوباء » فاذا كنت لا تملك شيئا فهى لا تملك شيئا كذلك ٠٠ واذا كانت لا تدين بشىء ٠٠ فكذلك أنت لا تدين بشىء ٠٠ واذا كنت لا ترتكبها فهى لا ترتكبها والذى يملك خبزا يجب أن يكون رحيما ، ان عمل الشاكى طويل ٠ والفصل فيه يسير ببطء ٠٠ ويتساءل الناس ما معنى ذلك الرجل الذى هناك ٠٠ كن معينا حتى تظهر قيمتك واضحة ٠٠ تأمل ان مسكنك قد أصبح موبوءا ٠٠ **اجعل لسانك يتجه الى الحق ، ولا تضـــل ٠٠ ان لســان الرجل قد يكون سبب تلفه ٠**

« لا تقل الكذب واحترس من الموظفين ٠ ان قول الكذب نباتهم ، ومن المحتمل أن يكون خفيفا فى قلوبهم ٠ وأنت يا أكثر الناس علما ، هل تريد أن تعرف شيئا وأنت يا من تقضى حوائج المـــاء تأمل فانى أملك مجرى ماء من

غير سفينة ٠٠ وأنت يا مرشد كل غارق غرقت سفينته ٠٠ نجنى ٠٠ نجنى ٠٠

من ذا الذى يكبح الشر :

« ان أصدق وزن للبلاد هو اقامة العـــدل ٠٠ ولا تكذبن وأنت عظيم ٠٠ ولا تكونن خفيفا وأنت رزين ٠٠ ولا تقـولن الكـذب فانك الميزان ٠٠ ولا تنكمش فانك الاستقامة أنظر انك على مستوى واحد مـــع الميزان فاذا انقلب انقلبت أيضا ٠ ولا تغتصبن بل اعمل ضد المغتصب وذلك العظيم ليس عظيما ما دام جشعا ٠ ان لسانك هو ثقل الميزان ٠ وقلبك هو ما يوزن به ، وشـــفتاك هما ذراعاه ٠ **فاذا سترت وجهك أمام الشرس فمن ذا الذى يكبح الشر ؟**

اجعل عينيك ٠٠ تتأملان :

« كن صبورا حتى يمكنك أن تصل الى العدل ٠ اكبح جماح اختيارك حتى أن الشخص الذى تعود أن يدخل بسكون يمكنه أن يكون سعيدا ٠٠ مع أنه لا يوجد انسان طائش يجيد عملا ، ولا متسرع تطلب مساعدته ٠٠ **اجعل عينيك تتأملان** ، وعلم قلبك ولا تكونن شديدا بمقـــدار قوتك ٠٠ خوفا من أن يحيق بك المكروه ٠٠ **اما القـاضى الذى تجب معاقبته فانه يكون نموذجا للمجرم** ٠٠ تأمـــل أيها الأحمق فانك قد ضربت ٠ تأمل أيها المغفل فانك

سئلت ٠٠ وأنت يا نازح الماء تأمل فانك قد دفنت ٠٠ وأنت يا مدير السكان لا تجعل قاربك يرتطم ٠٠ وأنت يا معطى الحياة لا تؤذ أحـدا ويا مخربا لا تسـببن خراب أحد ٠٠ ويا أيها الفتى لا تكونن كحرارة الشمس ٠

والآن هل سأقضى طول اليوم فى الشكوى الرابعة ؟

لا تكتم انفاسى :

لا تحرمن رجلا رقيق المال من أملاكه ، ولا ضعيفا تعرفه ، فان أملاك الرجل الفقير بمثابة النفس له ٠٠ ومن يغتصبها يكتم أنفه ٠٠ تأمل فان ما تفعله هو أنك تنحاز الى اللص ٠ والانسان يضع أمله فيك ولكنـك أصبحت معتديا لقد نصبت سدا للفقير لتحفظه من الغرق ولكن تأمل فان تياره لسريع ٠

ليس الخوف منك ٠٠
يجعلنى اشكو اليك

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو مرة ثانيـة فقال :

يا أيها المدير العظيم للبيت الملكى ، يا سيدى ! ان الناس يتحملون السقوط بسبب الطمع ، **والرجل المختال يعوزه النجاح ولكنه ينجح فى الخيبة ٠**

انك جشع وذلك لا يتفق معك ، وانك تسرق وذلك لا يليق بك ، أنت يا من يسمح للانسان بأن تشرف على

قضيته الحقة ·· ذلك لأن جوفك قد ملىء ·· ولأن مكيال القمح قد طفح ، فاذا هز طفح وضاع على الارض ·

« ليس الخوف منك هو الذى يجعلنى أشكو اليك · انك لا تبصر ما فى قلبى » ·

« انك تملك قطعة أرضك فى الريف ، ومكافأتك فى ضياع الملك وخبزك فى المخبز والحكام يعطونك ·· ومع ذلك تغتصب هـــل أنت لص ؟ هـــل يؤتى لك بجنود لتصاحبك عند تقسيم الارض ؟

« أقم العدل لرب العدل ، الذى أصــبحت عدالته موجودة ، أنت يا أيها القلم وأنت يا أيتها البردية ، ابتعدوا عن عمل السوء ، وعندما يكون الحق حقا فهو اذن حــق لأن العدل أبدى ، ويذهب مع من يعملـــــه الى القبــــر ، وسيدفن وتطويه الأرض أما اســمه فلن يمحى من الأرض بل سيذكر بسبب الحق وهكذا عدل الله فى كلمته » ·

هكذا كانت سلوكيـــات مصرى ·· عرض مظلمته عرضا أدبيا بأسلوب خارق فلم يهتز خيط ميزان عـــدل الحاكم ولم يتذبذب ·· فعدل له .

« امنموبى »
يحمل رسالة خاصة للعالم

● **الواقع أن امنموبى المصرى كانت لـــه رسالة يحملها الى العالم اذ انه ترك أسلوب النصائح العـادية ، فأول ما يلفت النظر فى تعاليمه شيئان هما :**

تدين هذا المؤلف الشاعر واعتدالة ، والواقع أنه لم يصلنا الى الآن من الكتب المعروفة فى الأخلاق والتعاليم عند المصريين القدامى ما يظهر لنا مثل هذا الروح ولذلك تعتبر تعاليم « امنموبى » من أمتع الكتب وأعظمها قيمة ، ولقد وافتنا تلك التعاليم ــ بأن الصلاح كان فضيلة وأن التفكير فى الموت والأبدية كان حافزا يدفع الانسان الى أن يسلك الطريق السوى فى الحياة الدنيا مخافة الله ، اذ ان الله • هــــو الذى يســــعد ويغنى ولكن كان التدين فى نظـــــر امنموبى يقوم بدور أعظم من ذلك اذ كانت فكرة وجـود الله فى نظره هى المستوى الذى وضعه أمامه لفهم الحياة •• فالله هو رب الأرزاق ، ولذلك يجب على الانســـــان الا يخاف غيره • وان الكمال لله وحده •• وان الانسان

هو المخطىء والحســـاب ينتظر المخطىء ، وأن محاولة
الانسان الوصول الى الكمال ضرب فى محــال والله كذلك
عادل ، فيمكن للانسان أن يتوكل عليه . والله يبارك
العمل ويحب الخير وكرم الضيافة ولكنه يمقت الملق
والغش ، وبعد الموت يكون الانسان بين يدى الله ــ ولقد
كان المثل الأعلى بين الناس فى نظر امنموبى هو الرجــل
الرزين أى الرجل المتواضع المعتدل فى حياته ــ ولعمرى
هل يستخلص الانسان من هذا التواضع الذى أظهرهم
لنا المؤلف ــ وهو على طرف نقيض من حكماء العصور
الماضية اذا قسناه بهم ــ انه يصور لنا العقلية المصرية فى
العصر الذى أخــذت فيه البــلاد تنحدر طبقا للضرورات
السياسية التى فرضت عليها فى ذلك العهد .

وقد كان أمنموبى يسير على نهج معين اذ كان يحث
على الناحية الانسانية العملية فى الحياة فتراه يشير الى
واجبات الموظف .. فلابد أن يكون عادلا مستقيما رحيما
وأن يكون متســـامحا مع الفقير ، ويحــذر من الغش فى
الدفاتر .. ولذلك نجد حكيمنا يضـــع قواعد الســـلوك
الانسانى مع أخيه الانسان خارج أعماله الرسمية . ويحض
على الا يختلط الانسان الا بمن هو فى شاكلته ويحض
أمنموبى على أن يكون الانســـان لين الجانب مع المرأة
الفقيرة التى تجمع الحبوب فى حقول الغلال وأن يكون
حســن الضـــيافة للغريب ، وأن يكون رحيما بالأعمى
والمقعد والقزم .

ـ وفضلا عن ذلك يجب على المرء الا يتطاول على شريف وألا يعارض عظيما وان أساء معاملته وحتى اذا لطمه فليضع يده على صدره فان العظيم سيصبح فيما بعد مهادنا له ، وليعمل على احترام الناس له باعتقال لسانه عن قول السوء ، وليكن بصيرا وحذرا ، وهذا شىء يسير .. مما جاء فى تعاليم « امنموبى » وفيها يرى القارىء الفرق الشاسع بين ما كتبه ، وبين ما كان يكتبه حكماء العصور التى سبقته .

فلا غرابة اذن أن تعد هذه التعاليم بحق مصدرا عظيما للأمم المجاورة وبخاصة سوريا وفلسطين التى كانت تعتبر مصر الأم التي ترضعها لبان العلم والمعرفة ولنستعرض بعد ما قاله امنموبى :

● **الحزم فى المناقشة :**

لاتشتبكن فى جدال مع أحمق
ولا تخزنه بالألفاظ
تأن أمام متطفل ، وأعرض عمن يهاجم
ونم ليلة قبل التكلم
لأن العاصفة تهب مثل النار فى الهشيم .
والرجل الأحمق فى ساعة غضبه
يجب أن تنسحب من أمامه واتركه لمكايده أو سامحه فيها .

والله يعلم كيف يحبب ويجزيه .
واذا أمضيت حياتك واعيا هذه الأشياء في قلبك
فان أولادك سيبصرونها .

● الرجل الأحمق والرجل الحليم :

أما الرجل الأحمق الذى لا يخدم الناس
فمثله كشجرة نبتت في الغابة
ففى لحظة تفقد خضرتها
ويكون مصيرها في مرفأ الأخشاب
أو ـ ينقل بعيدا عن مكانها
والنار كفنها ومثواها
أما الرجل الحليم حقا فهو الذى يضع نفسه جانبا
حيث يجب
فمثله كشجرة باسقة في الحديقة
تنمو يافعة وتضاعف ثمرتها .
فتقف أمام سيدها
وثمرتها حلوة وظلها ظليل
وينتهى مصيرها في الحديقة

● البحث وراء الثروة :

لا تندفعن بقلبك وراء الثروة
اذ لا يمكن تجاهل الحظ
ولا تضع أفكارك في أمور في الخارج

فكل انسان مقدر له ساعته
ولا تجهدن نفسك فى طلب المزيد
عندما تكون قد حصلت بالفعل على حاجتك
لأن الثروة لو أتت لك من طريق السرقة
فانها لا تمكث معك سواد الليل
اذ عند مطلع الفجر لا تكون فى بيتك بعد .
وسترى مكانها ولكنها لن تكون هناك
فربما قد فغرت الأرض فاها وتأخذها وتبتلعها
وتغوص بها فى العالم السفلى
أو أنها تعمل لنفسها كهفا كبيرا بقدر حجمها .
ثم تغيض بنفسها فى مخزن الغلال
أو أنها تعمل لنفسها أجنحة مثل الأوز
وتصعد الى السماء
ـ لا تفرح من أجل ثروة أتت من طريق السرقة .
ولا تئنن من الفقر
فان قارب الشره يعوقه الطين
وقارب الرجل الرزين يقلع مع النسيم
ويجب عليك أن تتعبد لله
وقل امنحنى السلام والصحة
وسيمنحك ما تحتاج الى طول الحياة
وتأمن الخوف

● لا تقل شرا :

.. ضـــع طيبتك فى جوف الناس وفى أعمـاق نفوسهم

حتى يحبيك كل انسان
لأن الانسان يرحب بالخير
احفظ لسانك سليما من الألفاظ الشائنة
وبذلك تصبح المفضل عند الآخرين
وستجد مكانك بين الناس
وطعامك من خير نعمة ربك
وستخدم فى شيخوختك وتوارى فى كفنك
وستكون فى مأمن من بطش الاله
لا تصيحن : جريمة فى وجه انسان !
عندما يكون سبب فراره خفيا

واذا كنت مستمعا لتحكم فى شىء سواء أكان خيرا أم شرا

فافعل ذلك فى الخارج حيث لا تسمع
وضع تقريرا حسنا على لسانك
أما ما قبح فأخفه فى بطنك

● تجنب الرجل الأحمق وسبله

لا تخالطن الرجل الأحمق
ولا تدن منه لتحادثه

واحفظ لسانك سليما من مجاوبة رئيسك
واحذر من أن تذمه
ولا تجعله يرمى بكلامه ليحبلك
ولا ترخ العنان لجوابك
ويجب أن تناقش الجواب مع رجل على شاكلتك
واحذر الاندفاع فى النطق به
فان الكلام يكون سريعا عندما يؤذى القلب
أكثر من الريح أمام الماء كالزوبعة التى تسبق المطر

فالانسان يبنى ويهدم بلسانه •
ومع ذلك فانه يقول قولا مفزعا
ويجيب بجواب يستحق الضرب
لأن حمولته الشر •

ويقوم بسياحة حول كل العالم ويخلق الشجار بين الناس
غير أنها مثقلة بالألفاظ الكاذبة
ومثله كمثل الذى ينسج فى الكلام
يروح ويغدو بالمشاحنة
وعندما يأكل ويشرب فى الداخل
يسمع جوابه فى الخارج
والواقع أن يوم اظهار جريمته
يكون بؤسا على أطفاله

● **الأخلاص :**

لا تصافحن قرنك الأحمق على الرغم منك
ولا تحزنن قلبك من أجل ذلك
ولا تقولن له السلام عليكم رياء
عندما يكون فى باطنك حقد أو تدبير فظيعة
لا تتكلمن مع انسان كذبا
فذلك ما يمقته الله
ولا تفصلن قلبك عن لسانك
حتى تكون كل طرقك ناجحة
وكن ثابتا أمام غيرك من الناس
لأن الناس فى مأمن فى يد الله
وان الممقوت من الله من يزور فى الكلام
لأن أكبر شىء يكرهه هو النفاق

● **كاتب الحسابات الطيب**

لا تضرن رجلا بجرة قلم على بردية
لأن ذلك يمقته الله
ولا تؤدين شهادة كذبا
ولا تزحزحن انسانا آخر بلسانك
ولا تفرضن ضريبة على شخص لا يملك شيئا
ولا تستغلن قلمك فى الباطل
واذا وجدت فقيرا ،عليه دين كبير
فقسمه ثلاثة اقسام

رسامحه في اثنين وأبق واحدا
وستجد ذلك سبيلا للحياة
وستضطجع بالليل وتنام نوما عميقا وسنهدأ

وفي اليوم التالي ستجد أن ما فعلته أخبار سارة على الألسنة ٠

وخير للانسان مدح الناس وحبهم له ٠٠
من الثراء في المخازن
وخير للانسان أكل الخبز مع قلب سعيد
من الثراء مع الكدر

● الكرامة

لا تختر من شخص
ولا تجهدن نفسك لتبحث عن يده
اذا قال لك « خذ رشوة »
اذ ليس بالرجل الهين المستهتر من يقبله
ولا تكن خجلا أمامه وتحنى نفسك له
ولا تلقين بنظرك الى أسفل
وسلم عليه بفمك وقل له سلام عليك
وعندما يقلع عن ذلك فان موهبتك ستظهر

ومع ذلك يجب ألا تقصيه عندما يقترب منك أول مرة ٠

فان أمرا آخر سيقصيه بعيدا عنك

ولا تجعلن كلامك فارغا
حتى لا يتألم قلبك
وقلب الرجل هو حميم ضميره
فاحذر أن تهمله
والرجل الذى يقف بجوار الشريف
يجب الا يعزف اسمه حقا

● احترام العاهة :

لا تسخرن من أعمى ولا تهزأن من قزم
ولا تفسدن قصد رجل أعرج
ولا تحفظن رجلا فى يد الله
ولا تكونن عابس الوجه حينما يكون قد تعدى الحدود
اذ الواقع أن الانسان من طين « وماء »
والله هو مسويه
وهو يهدم ويبنى كل يوم
وهو يضع ما يريد
ما أسعد الذى قد وصل الى الآخرة
وهو آمن فى يد الله
لا تسألن عن شخصية أرملة عندما تقبض عليها فى الحقل .
ولا يفوتنك أن تتذرع بالصبر لاجابتها
ولا تمرن على غريب باناء طعامك

بل اجعله يتضاعف أمام اخوانك
وان الله يحب سعادة المتواضع
أكثر من احترام الشريف
احذر أن تسلب فقيرا بائسا
وأن تكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح
ولا تمدن يدك لتمس رجلا مسنا بسوء
ولا تسخرن من كلمة رجل هرم
ولا تجعلن نفسك رسولا في مهمة ضارة
ولا ترغبن فى مصاحبة من قد أداها
ولا تصحبن مع من قد آذيت
ولا تردن عليه بجواب لتجعل الحق فى جانبك
ومن فعل فاحشا فان المرفأ يفلت منه
وأرضه المبللة تحمله بعيدا
وانت أيها الرجل الأحمق . ما حالك ؟
انه يصيح وصوته يصل الى عنان السماء
وانت أيها القمر .
جسرك الدفة حتى يمكن للرجل الخبيث أن يعبر
الينا
لأننا لا نرتكب ما ارتكبه
ارفعه ومد يدك اليه
وأسلمه الى ذراعى الاله
واملأ جوفه بخبزك
حتى يشبع ويعى ؟

وهناك شيء آخر محبب الى قلب الاله
هو التانى قبل الكلام
ـ تامل لنفسك فى هذه التعاليم
فانها تمتع وتعلم
وهى تفوق كل الكتب
فهى تعلم الجاهل
فاذا قرئت أمام الجاهل
اصبح طاهرا بها
فاملأ نفسك بها وضعها فى قلبك
لتكون رجلا يعرف تفسيرها
وتكون مفسرا لها وكمعلم
أما من حيث الكاتب المدرب فى وظيفته
فانه سيجد نفسه أهلا لأن يكون من رجال البلاط
وهذه نهايته

« كتبه سنو ابن الكاهن بحو »

من مقدمة هذه التعاليم تعلم أن **امنمونى** هو ابن كاتحت » وتزوج امنوبى من **توزيرى** . وأنجب « **حور** ماخر » وهو الذى كتب له أبود هذه التعاليم كعادة مؤلفى التعاليم عند قدماء المصريين . ويحمل **حور ماخر** ألقابا دينية كثيرة تربطه بمعبد أخميم غير أن هذه الألقاب نادرة الوجود فى الوثائق المصرية الأخرى .

وتقسيم متن هذه التعاليم الى أبيات من الشعر ليس بالأمر العادى وعندنا مثل واحد معروف من هذا النوع من الأسرة الثانية عشرة وأعنى بذلك قصيدة سنوسرت الثالث المكتوبة فى ورقة اللاهون وكذلك عثرنا على مثلين فى الديموطيقى . الأول حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ، وهى قصيدة هجائية والثانى يرجع تاريخه الى القرن الأول بعد الميلاد وهو مكتوب في ورقة ليدن الخلقية وتقسيم التعاليم الى فصول شيء فريد فى المتون الهيراطيقية غير أنه كرر في ورقة ليدن نفسها الآنفة الذكر وتحتوى على خمسة وعشرين فصلا فى الحكم الخلقية .

● ولحسن الحظ وصلت الينا كل هذه التعاليم كاملة من أولها الى آخرها فكان ذلك مساعدا لنا على قدر المستطاع أن نصل الى غايتها :

نظرة ·· لها مكان بين صفحات الكتاب

هناك حقيقة لابد من الاعتراف بها وهى أن سكان شبه الجزيرة العربية كانوا على اتصال دائم بمصر فى كل وقت ·· فلابد أن يكونوا قد تأثروا بمدنيتها وآدابها ·· كما لابد وأن يكونوا قد تأثروا بالمدنية الكلدانية وآدابها ·· وبالمدنية الآشورية وآدابها ·· وأثر المدنية الفارسية والأدب الفارسى فى المدنية العربية والأدب العربى معروف ومشهور ·· واثر المدنية اليونانية والأدب اليونانى ·· أما آثار المدنية المصرية والأدب المصرى ·· فهو الذى أثر على الكل وهو زارع المدنيات فى كل الحضارات ·· يشهد بذلك كل ما بين أيديهم حتى لغتهم ··

ولكن تعال معى نلمس حاسة الفن عند المصرى القديم ·· ألا وهى حاسة الشعر ·· لكى نعرف مدى امتداد الأسلوب الشعرى من مصر الى الخارج. فمن بين النصوص ·· تعبير عن عواطف الحب من قلب فتاة تقول :

أخى الحبيب ··

ان قلبي معلق بحبك
فاسمع لما أقول
وانظر ماذا فعلت
لقد ذهبت انصب فخي بيدى
وانت تعرف أن جميع طيور بونت
تحط في مصر معطرة برائحة المر
فاول هذه الطيور
هو الذى حط على فخي
وضرب في طعمي
بينما كانت تفوح منه روائح بونت
وكانت مخالبه مغطاة بالصمغ الذكى
افيكون لى أن تقتنصه من الفخ معى
معى انت وحدك ؟
كي تسمع شكوى طيرى المعطر برائحة المر
واية غبطة لى ..
أن تكون معى اذ أنصب فخي
لقد صاح الطير وهو فى الفخ
ولكن حبك ملك على مذاهبى
فلم يدعنى افكر فى اخذه
فسأجمع فخي وأدوات صيدى
لأنى لن أصيد شيئا
ربه .. ماذا أقول لأمى

اذ أعود اليها خالية اليدين
وقد ألفت أن تراني أحمل اليها الطيور كل يوم
ستقول أمي ‥ ماذا فعلت بفخك
فهل من جواب أجيب به
غير اني كنت أسيرة حبك ؟!

انها القبلة منك
هي التي يحيا لها قلبي
فان أنا ظفرت بها
فليكتب آمون أن تكون لي الى الأبد

أخي الحبيب ‥ اليك أفضي بذات نفسي
ان الأمنية التي يخفق بها قلبي
هي أن أصبح قوامة على شئونك
وربة لدارك
وان تستند ذراعك الى ذراعي

أخي
اذا تحول حبك عني ‥
فسأقول لقلبي ‥
أين أخي ‥ بعيد الليلة عني
وسأكون كأنني دفنت في قبري
لأنك أنت العافية وأنت الحياة .

هكذا غرم المصريون القدماء بالصيد فى كل مناظرهم .. فنجد بعد آلاف السنين منها .. يقول قيس بن ذريح:

برت بنبلها للصيد لبنى وريشت ..
وريشـــت أخـــرى مثلهـــا وبريت ..

فلما رمتنى اقصـــدتنى بســـهمها ..
وأخطأتهـــا بالســـــهم حـين رميت .

ويقول عمر بن أبى ربيعة :

خليلى ما كانت تصـــاب مقاتلى ..
ولا غرتنى حتى وقعت على نعم ..

خليـــلى حتى لف حبلى بخـــادع ..
موني اذا يرمي صيود اذا يرمى ..

وهناك المحب الذى يشكو اعراض المحبة وصـــدها له .. ثم يفكر فى ألوان من الحيل عسى أن يظفر برويتها فيقول :

سارقد فى سريرى متمارضا
فيعودنى جيرانى
وتعودنى أختى معهم
وتضحك أختى من أطبائى
لأنها تعرف دخيلة مرضى

وتمنى المحب أن تزوره حبيبته اذا رقد فى سريره مريضا أو متمارضا ..

وهذا النوع شائع فى الشعر العربى .. أذكر منه قول الشاعر قيس بن ذريح :

عيد قيس من حب لبنى ولبنى ..
داء قيس والحب داء شــــديد
واذا عادنى العــوائد يوما ..
حالت العــين لا أرى من أريد

ليت لبنى تـعودنى ثم أقضى ..
أنهـــا لا تعـــود فيمن يعـــود

ثم يستمر المحب والشاعر المصرى القديم .. فيقول اذا لم ينجح فى حيلته تلك فسيحتال ليدخل عند حبيبته مع زوارها .. ثم وكأنه لم ولن ينجح فى هذا .. فيقول:

دار أختى !!
ليتنى أكون على بابها
فان أغضب ذلك أختى
فانى على الأقل سأسمع صوتها الغاضب
وسأكون أمامها كالطفل يرتعد فرقاً .

وها هو عمر بن أبى ربيعة بعد آلاف السنين يقول :

ليت حظى كطرفة العين منها
وكثير منها القليــل المهنــا

أو حديث على خلاء يســلى
ما يجن الفؤاد منها ومنـــا

كبرت رب نعمة منك يوما

أو أراها قبل الممات ومنا

وها هو جميل بن معمر .. يتمنى الكلمة الواحدة .. ولو كانت (لا) او الأمر الخائب او النظرة العجلى ينقضى عليها حول كامل :

وانى لأرضى من بثينة بالذى

لو أبصره الواشي لقرت بلابله

بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى ..

وبالأمل المرجو قد خاب أمنه

وبالنظرة العجلى وبالحول ننقضى

أواخره لا. نلتقى وأوائله

ثم يقول :

ألا ليتنى أعمى واصم نقودنى

بثينة لا يخفى على كلامها

ثم يقول :

من حبها أتمنى أن يلاقينى

من نحو بلدتها ناع فينعاها

كيما أقول فراق لا لقاء له

وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ثم يقول :

ولــو تمـــوت لراعتني وقلت ألا ..
يابؤس للمـــوت ليت الموت أبقـــاها

ولكن شاعرنا المحب المصرى بعد أن كان يكتفى بأن يكون بوابا عاديا يترقى فى تمنياته .. فصار سماعه صوت حبيبته لا يكفيه .. فهو يقول :

ولكن يارب !!
لم لم تجعلنى رقيقتها السوداء
تلك التى تقيم معها
فانى اذن كنت أمتع عينى
برؤيتها ورؤية جمالها وندرة جسدها

وهنا يقول عمر بن أبى ربيعة .. حكى عندما نظر فى الطواف الى امرأة وقعت من نفسه فكلمها .. فلم ترد عليه .. ورأى الهواء يلاعب أذيال ثيابها فقال :

الريح تســـحب أذيالا وتنشرها
ياليتنى كنت ممن تسحب الريح .

كيما تجر بنا ذيلا فتطرحنـــا ..
على التى دونها مغبرة شـــــوح .

ثم يقول المحب المصرى القديم ..
سأركب النيل نازلا مع التيار

وسامضى مسرعا

وباقة من الريحان على كتفى

وساصل الى مدينة حياة الأرضين

وهناك أقول للاله بتاح رب العدل

ليت أترى الليلة حبيتى !

ان النهر لخمر !

وان بتاح لغابة !

وان سخمت لبردية !

وان نفر توم لأزهار !

وهنا يسبح المحب فى بحر من الخيال لأنه ركب النيل الى حبيبته فأخذته نشوة الفرح فصار النيـــل فى نظره خمرا وصارت المناظر الطبيعية تشبه سحرا صنعته الآلهـة .. فالغاب المنتشر على ضـــفاف النيل والبردى والأزهار كلهـــا ليست نبـاتا .. وانما هى آلهة تجمل الطبيعة فى عينيه .. وتشترك فى تحريك النشوة فى نفسه .. ويجيب الاله رجاءه وتأتى حبيبته في موعد يضربه لها فيقول :

حينما أرى حبيبتى قادمة

يخفق قلبى

وتتحرك ذراعاى لتطويقها

وأحس فى أعماق نفسى

كان السعادة الأبدية تشملنى
ثم اذا دنت منى حيتنى ولمستنى
وفتحت ذراعيها لى ··

شعرت كان أزكى روائح بلاد العرب
تغمرنى ··
ثم اذا دنت شفتا حبيبتى
وقبلتنى ··
فذلك لى هو السكر ·· من غير مسكر ·

هذه المعآنى كلها كثيرة فى الشعر العربى مع تنوع فيها ·· فالشاعر المصرى يقول ·· ان قبلة من حبيبته تسكره من غير مسكر ·· وقيس بن ذزيح ينهج مثل نهجه ·· فيقول :

وللهائم العطشان رى بريقها ··
وللمرح المختال خمر ومسكر

وعمر بن أبى ربيعة يحوم حول هذا المعنى فيقول

من يسقى بعد الكرى بريقتها
يسقى بكاس ذى لذة خمر

ويقول :

فلثمت فاها آخذا بقرونها ··
شرب النزيف ببرد ماء الحشرج ·

وبشار بن برد يقول :

حوراء ان نظـــرت اليك ..
سقتك بالعينين خمـــــرا
وكان رجـــع حديثهـــــا
قطع الرياض كاســــين زهرا
وكأن تحت لســــــانها
هاروت ينفث فيه ســـــحرا

فهو يرى فى نظر حبيبته خمرا مسكرة وفى حديثها سحرا .. بينما الشاعر المصرى القديم وقيس بن ذريح وعمر بن أبي ربيعة .. يرون الخمر والاسكار فى العناق والريق .

هذه الأمثلة من الشعر العربى .. لم نوردها الا لندلل بها على أن كثيرا من المعانى التى وضعها الشـــاعر المحب فى قصيدته نرددت من بعده بزمن لا يقل عن ألفى سنة أو أكثر .. ومازال يتردد الى اليوم فى الشـعر الحديث بحيث لو أن شاعرا عصريا جعـل من قصـــيدة شاعرنا المصرى قصيدة عربية لما احتاج الا الى أن يخرج منها الآلهة وتسمية الحبيبة أختا .. لكى تكون قصـيدة عصرية .. كما أن مخاطبة الحبيبة بكلمة الأخت .. أو شقيقة الروح .. لا ينبو عن الذوق العصرى اذا وضع فى صيغة فنية مقبولة .

فذاك فن دل ايضا على رقة أحاسيس وأســاليب المصرى القديم صاحب الحضارة التى جذبت أنظار العالم قديما وحديثا ٠

بتاح حوتب ـ مقبرة

من مقابر ســقارة الهــامة شيدها بتاح حونب له ولأبيه أخت حوتب وتمتاز بين مثيلاتها من مقابر سقارة والدولة القديمة بما وصلت اليه نقوشها من جمال وروعة وما حوته من تفصــيلات فى مناظر الحيــاة اليوميــه فى الدولة القديمة ٠٠ قل أن نجدها فى مقبرة أخرى وبخاصة فى منظر الصيد ومنظر تجميل صاحب المقبرة ومناظر لعب الأطفال ٠٠ كما نجد فيها أيضا رسما للرسام الذى رسمها وقام بعمل نقوشــها واسمه نى عنخ بتاح نراه يجلس فى قارب وأمامه طفل صغير يناوله ماء ليشربه وأمامه لقبه رئيس الفنانين ٠٠ ويعتقد الكثيرون من علماء الآثار المصرية ٠٠ أنه من المحتمل جدا أن صاحب هــذا القبر هو نفس الوزير بتـــاح حوتب مؤلف بردية الحكم المشهورة باسمه فى الأدب المصرى القديم ٠

امنموبى

أحد حكمــاء المصريين الذين عاشــوا حوالى القرن العاشر قبل الميلاد ولم يكن ممن تمتعوا بالمناصب الكبرى

اذ كان يشغل وظيفة ناظر على شـــونة الحبوب فى ابيدوس ·

وقد كتب حكمه الغـالية الى ابنه على هيئة وصايا ونصائح ·· لتعليمه كيف يجيب على سؤال من يسأله ·· وكيف يكتب تقريرا لرئيسه ولكى ترشده الى سبل الحياة وتجعله يسعد على الأرض ·

ولهذه الحكم شـــهرة كبيرة لأن أكثر علماء الآثار الذين درسوها يعتقدون أنهـا أصل ســـفر الأمثال فى التوراة ·

·· وقد كتب وصاياه هذه فى بردية امنموبى ·· التى اشتراها العالم الانجليزى «واليس برج» عام ١٨٨٨ ونشرها وعلق عليها أكثر من عالم ·· والبردية مترجمة فى كتاب ·· سليم حسن الأدب المصرى القديم ·· الجزء الأول ص ٢٣١ ـ ٢٨٠ القاهرة ١٩٤٥ ·

خاتمـة

هذا هو الأدب والسلوك المصرى القـديم .. اقدم أنواع الأدب فى العالم .. تميز بأصالته حين نشـا فى أرض مصر .. خلقه شعبها .. جاء وليدا لظروف هـذا الشـعب ومعبرا عن مشـاعره .. هـذا الأدب المصرى وسلوكياته وتعاليمه .. بحكم توغله فى القدم .. لم ياخذ من غيره .. وانما وضع الأساس الذى اهتدى به الأدب فى بعض الأمم القديمة .. فقد غذى الأدب المصرى الأدبين العبرى والاغريقى .. وأعانهما على ان يلعبا دوريهما فى الحياة الأدبية فى الزمن القديم .

.. وكنا لا نستطيع ان ندرس معا سلوكيات المصرى وتعاليمه من خلال الأدب المصرى القديم الا اذا تلوقنا معا جمال اساليبهم .. كما تعرضنا لأمثلة منوعة ومختلفة .. ولعل قد تبين لك عزيزى القارىء من سياق هذه الأمثلة .. كيف كان المصرى القديم يعنى بالأسلوب القوى الجميل .. والسلوك الطيب .. الذى يجد فيه القـارىء غذاء لروحه واشباعا لنفسه .. ووجدنا معا كيف استمد هذا الأسلوب

القوى عذوبته وجماله من بساطته التي لا تكلف فيها ٠٠ تلك البساطة التي تجعله ينساب الى النفوس فيستهويها ٠٠ والى الأسماع فيستولى عليها ٠ ووجدنا معا ان هذا الأسلوب يشتد ويقوى فيما جل من الأمور ٠٠ ويرق ويلين في التعبير عن مختلف الأحاسيس والعواطف وما تجيش به النفس من مشاعر ٠

ولقد كان الأسلوب الجميل مطلوبا في جميع العصور ٠٠ يبتغيه الكاتب ٠٠ ويعمل على تحقيقه في جميع ما يكتبه ٠

فقد ورد في ديباجة اقوال حكيمنا بتاح حتب المشهورة ٠٠ وصف يقول فيه :

« انها الأقوال التي صيغت في اسلوب جميل ووردت على لسان الوزير ٠٠ لكى يكون فيها ثقافة ٠٠ ومعرفة ٠٠ وتعليما لأصول السلوك والحديث الممتع » ٠

محمد عبد الحميد بسيونى

المراجع

ـ دكتور عبد العزيز صالح ـ الشرق الأدنى القديم ـ مصر والعراق الطبعة الثالثة ١٩٧٩ ·

ـ دكتور عبد العزيز صالح ـ التربية والتعليم فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٦٦

ـ سليم حسن ·· الأدب المصرى القديم ·

ـ شارف (الكسندر) ترجمة عبد المنعم أبو بكر ـ تاريخ مصر ظهرت الترجمة العربية عام ١٩٦٠ ·

— ERMAN, A., and RANKE, H., Aegypten und Aegyptisches Leben in Altertum, 1923.

الفهرس



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٠٢٥ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5311- 7